العدد الثانى عشر من السنة الثالثة | ذى القعدة سنة ١٣٦١ — ديسمبر سنة ١٩٤٢

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٢

فهرس العدد

		صفحة
افتتاح مدرسة الخدمة الاجتماعية	الأستاذ عبد الحميد بك عبد الحق...	٣
النشاط الاجتماعى لوزارة الشؤون		٧
جهود وزارة الصحة...		١٤
الاتجاه القومى للتعليم	الأستاذ سيد قطب	٢١
إنقاذ الطفولة المشردة		٢٨
المبادئ الأولية فى مكافحة الفلاء		٣٤
الألبان وانتفاع الفلاح بها فى مزرعته	الدكتور محمد أمين السكرى	٣٩
الخيالات الباطلة	الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم...	٤٣
جيش الخلاص	الأستاذ عماد الدين عبد الحميد	٤٦
بين الكوخ والقصر		٥٠
البيت الذى لا يتهدم	الآنسة زينب محمد حسين	٥١
بين الترجمان وعشش القرود	الأستاذ محمد عبد الكريم	٥٦
نشيد دار كفالة الفتاة	الأستاذ الصاوى شعلان	٦١
أهم الأمراض الاجتماعية...		٦٢
تشجيع الانتاج العلمى والعقلى	الأستاذ مصطفى الصاوى	٦٧
فى سبيل العيش (قصة اجتماعية)		٧٥

افتتاح العام الدراسى
بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية
لحضرة صاحب المعالى الاستاذ عبد الحميد بك عبد الحق
وزير الشؤون الاجتماعية

"ألقى معالى وزير الشؤون الاجتماعية هذه الكلمة القيمة فى حفلة افتتاح العام الدراسى لمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية ."

سيداتى وسادتى

أشكر لحضرات القائمين على هذا المعهد دعوتهم إياى لإلقاء كلمة فى حفلة افتتاح العام الدراسى لذلك المعهد الذى يؤدى أجل الخدمات للمجتمع المصرى .

ولست أنكر عليكم أننى حينما توليت وزارة الشؤون الاجتماعية سمعت دعايات ضد هذا المعهد وضد مجلة الشؤون الاجتماعية ، حتى هممت أن أقرر وقف صدور المجلة وعدم التعاون مع المعهد ؛ ولكن لم يمض إلا القليل حتى تبينت أن مدرسة الخدمة الاجتماعية ومجلة الشؤون الاجتماعية هما من الأدوات الهامة التى تعتمد عليها الوزارة فى أداء رسالتها . فالمدرسة أساس لدراسة المسائل الاجتماعية دراسة علمية منظمة مفيدة . والمجلة معرض للإرشاد الاجتماعى المثمر وللآراء والمقترحات القائمة على دراسة المجتمع المصرى دراسة وافية .

حضرات السادة

لقد قرأت كثيرا من التعريفات التى تحدد معنى الخدمة الاجتماعية . أما تعريفها عندى فهى المروءة تتجلى فى ميدان الخدمة العامة ، تلك المروءة التى تحمل صاحبها على محاولة النهوض بالمجتمع المصرى الذى يشيع فى أرجائه المرض والفقر والجهل ، والكثير من العادات والتقاليد السيئة مما يتعرض معه لشر الأمراض الاجتماعية التى تقلق بال المصلحين ومن يهمهم مستقبل هذه البلاد .

وإذا كانت الخدمة الاجتماعية فى مصر ضرورة كبرى ، فإن قيام هذا المعهد وأمثاله ضرورى كالخدمة ذاتها ، بل هو السبيل إلى قيام هـذه الخدمة على أسس صحيحة بإعداد جيل يضطلع بأعباء الاصلاح الاجتماعى عن خبرة وبصيرة .

وليس أدل على ضرورته وعلى سمو فكرته وشرف وجوده من أنه كان من عمل جماعة وقفت جهودها لخدمة الوطن ، ابتغاء مرضاة الله والوطن ، دون تدخل من حكومة ولا استعانة بأحد إلا وحى الضمائر الحية . أى أن معهد الخدمة الاجتماعية كان من عمل القائمين بالخدمة الاجتماعية .

ولا يفوتنى أن أوجه الثناء والإعجاب إلى مدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية فهى كشقيقتها مدرسة القاهرة كانت من وحى الضمير الطاهر والشعور النبيل .

حضرات السادة

إن التخصص فى الخدمة الاجتماعية أمر ضرورى سواء لمن يرغبون فى اتخاذها مهنة أو للمتطوعين الذين يدفعون فى أنفسهم ميلا إليها ، لأن العمل الذى لا يقوم على أساس الدراسة العلمية قلما ينفع وكثيرا ما يضر .

لذلك يجب إدخال هذه الدراسة ضمن مناهج المعاهد التى تتصل عن قرب أو بعد بالخدمة الاجتماعية ، فتكون مادة أساسية فى دراسات الأزهر الشريف ومدارس المعلمين وفى كليات الطب والحقوق والبوليس ، فإن خريجى هذه المعاهد يتولون فى الغالب وظائف تجعلهم أقدر من سواهم على تأدية الرسالة الاجتماعية .

على أننى مهما كانت ثقتى كبيرة فى آثار الخدمة الاجتماعية المنظمة ومن بأن الفقر هو داؤنا الأول . إننى لا أخشى أن أقول : إن أكثر الفلاحين لا يجهلون أن النظافة من الإيمان . ولكنهم لا يجدون الوسيلة الى المال الذى ييسر لهم أسباب النظافة . وإننى لأؤكد أن الفلاح لا يجهل أن البعد عن بقرته وقت النوم نعمة ، ولكنه لا يجد الوسيلة إلى المال الذى يهئ به سريرا لنفسه ، وحظيرة للبقرة بعيدة عنه .

إن الفلاح لا يجهل أن الغذاء الطيب يفيد صحته ، وإنه ليفهم أن أكلة مكونة من اللحم والخضار والحلوى هى أكلة شهية مفيدة ، ولكنه لا يجد الوسيلة إلى المال الذى يهئ له هذه الأكلة .

ولست فى حاجة إلى القول بأن معظم أثريائنا الذين يعيشون عيشة الترف والأبهة إنما هم ريفيون صميمون ، ولكنهم وجدوا المال فاستطاعوا أن يحققوا لأنفسهم بأنفسهم ما نرغب نحن فى تحقيقه للفلاح عن طريق الخدمة الاجتماعية .

لذلك يجب أن تكون الرسالة الاجتماعية فى مصر هى محاربة الفقر بكافة الطرق وتهيئة الرأى العام لتحقيق العدالة الاجتماعية . والاتجاه بالتشريع والسياسة المالية نحو هذا الغرض .

وفى رأيى أن تحقيق هذه العدالة يتلخص فيما يأتى :

(أولا) يجب أن تفرض الضرائب غير المباشرة بعناية وحذر حتى لا نحمل جمهور الفقراء عبء الضرائب ، وحتى لا نعرقل نمو الصناعة القومية .

(ثانيا) يجب أن نفكر جديا فى إصلاح الأراضى البور مهما كلفنا هذا الإصلاح ، وتوزيعها على صغار الفلاحين حتى تنمى الطبقة المتوسطة التى هى أساس الرفاهية والاستقرار فى جميع الأمم . وقد أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية مشروع قانون لتحقيق هذا الغرض .

(ثالثا) تجب العناية بالصناعة لأن الأمة التى تعتمد على الزراعة فقط هى أفقر الأمم مهما تحسنت طرق الإنتاج ، ومن الخير أن يفكر الماليون فى إنشاء بنك تسليف صناعى .

(رابعا) يجب أن يكون أساس الضرائب هو التصاعد حتى تتحقق العدالة الاجتماعية فى تحمل كل فرد نصيبا يتناسب مع قدرته المالية ، وقد خطت الحكومة خطوة موفقة بتخفيف الضرائب عن عاتق صغار الملاك .

(خامسا) تحقيق الضمانات الاجتماعية ضد المرض والشيخوخة . وهو المشروع الذى تدرسه وزارة الشؤون الاجتماعية . وهذا ما حدا بوزارة الشؤون الاجتماعية إلى أن تحصل على اعتماد من البرلمان بمبلغ ٢٠ ألف جنيه لإعانة العمال .

ويهمنى أن أبين لكم أنى قصرت الإعانة على ذوى العاهات أو الذين أصيبوا بمرض معجز أو الذين تعدوا الخامسة والستين ، حتى لا أشجع على استمراء التعطل ، وحتى لا أفتح بابا للاحتيال .

(سادسا) تنظيم الإحسان بحيث يستند إلى مورد ثابت تقوم على أساسه المبرات الاجتماعية ، وهذا ما حدا وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وضع مشروع الزكاة الذى ستقدمه للبرلمان آملة أن يكون فيه بعض العلاج لعيوب المجتمع الحاضر ، ومظهرا للتضامن الاجتماعى بين الأغنياء والفقراء .

* * *

ثم أعود إلى الإصلاح الاجتماعى والإرشاد الذى هو المهد لهذا الإصلاح فأقول : إن إنشاء أنظمة جديدة قد يكلف الدولة مبالغ لا قبل لها بها ، وقد يكون هذا سببا فى إطالة الوقت إلى آماد بعيدة قبل استكمال هذه الأنظمة ، لهذا فكرت أن نلجأ إلى إصلاح النظم القائمة فعلا والاستعانة بكل أداة وكل هيئة تتصل بالإرشاد الاجتماعى .

وقد فكرت فوجدت أن جماعة الطرق الصوفية هى من أبعد الهيئات أثرا ونفوذا فى أوساط الريف ، وأننا نستطيع تعديل لائحتها بما يضمن توجيهها توجيها صحيحا إلى الإرشاد الاجتماعى . وسنفعل ذلك إن شاء الله .

ولن نألو جهدا فى الانتفاع برجال الأزهر وطلابه ، وبالتعليم الإلزامى ورجاله فى هذه المهمة الكبيرة ، فهم منتشرون فى كل مكان ، فاذا أشربوا روح الخدمة الاجتماعية ودرسوا وسائلها كانوا أداة نافعة لأنهم يستطيعون أن يقيموا الإرشاد الاجتماعى على أساس من الدين وهو عامل قوى الأثر فى النفوس .

كذلك فكرت فوجدت أن المقاهى البلدية إن هى إلا منتديات قريبة الشبه بالنوادى لأن لكل قهوة روادا اعتادوا التردد عليها حتى ليظل الرجل طيلة حياته مخلصا لقهوة التى ألفها .

ومن مزايا هذه المقاهى أن لا خمر فيها ، فهى تصلح أن تكون منتديات اجتماعية إذا أدخلت اليها وسائل الإرشاد الاجتماعى والثقافى فى صورة مشوقة .

ولهذا اتفقت وزارة الشؤون الاجتماعية مع بعض الأدباء على وضع قصص بلغة شعبية عن تاريخ مصر تتضمن الارشاد الاجتماعى فى ثناياها على طريقة قصص (أبو زيد الهلالى) المحبوبة من رواد هذه المقاهى .

* * *

يا معشر الشباب :

إن المؤسسات الاجتماعية هى على اختلافها عدة وزارة الشؤون الاجتماعية فى جهادها ، وإنى لأهيب بشبان هذه المؤسسات جميعا أن يضاعفوا جهودهم و يضموا صفوفهم لتحقيق آمال المصلحين فى هذا الوادى العريق ، فيصبحوا جيش الخلاص الذى نعقد عليه الآمال فى السير بهذا البلد إلى الأمام .

عبد الحميد عبد الحق

للإمام على كرم الله وجهه :

— لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته وغيبته ووفاته

— كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء .

النشاط الاجتماعى
لوزارة الشؤون الاجتماعية

مطاعم الفقراء — نوادى العمال الرياضية — المقاهى الشعبية — الاخصائيون الاجتماعيون — شروط إنشاء العزب — توزيع الأراضى الحكومية

---

(١)

فى وقت من الأوقات كانت قصة " مطاعم الشعب " هى المقدمة بين الفصص التى تلوكها الألسنة وتنال اهتمام السلطات فى مصر ، وإذا اهتمت السلطات بمشروع ما ، كان هذا إيذانا باهتمام جماعه من الأثرياء ، يرقبون دائما مواقع رضى هذه السلطات !

ثم هبطت حرارة هـذا الاهتمام ، واسدل الستار أوكاد على قصة " مطاعم الشعب " فأقفل بعضها وعجزت ميزانية البعض الآخر عن تقديم وجبات الطعام لعدد كبير من الفقراء ، وهم أحوج ما يكونون لهذه الوجبات المغذية الرخيصة ، ولا سيما فى مثل الأوقات الحاضرة ، لولا أن قيض الله لهذه المطاعم اهتمام وزير الشؤون الاجتماعية بها فى هذه الأيام ، فكان هذا إيذانا بعودة الحياة اليها والتوسع فيها وخلقها خلقة جديدة .

فلقد زار معالى وزير الشؤون الاجتماعية مدينة الاسكندرية ، وفى يوم ٢٤ أكتوبر اجتمع معاليه مع رجال الأعمال بها للبحث فى شؤون العمال وما تقضى به الحال لمناسبة صدور القانون القاضى بالاعتراف بنقاباتهم من إنشاء جمعيات تعاونية لهم والاهتمام بتحسين أجورهم وتيسير حصولهم على ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية بأسعار معتدلة .

ثم طلب معاليه إلى رجال الأعمال المساهمة فى توسيع نطاق مطاعم الفقراء فى أحياء المدينة مساعدة لهم فى الظروف العسيرة الحاضرة ، فأبدوا هذه الرغبة مظهرين استعدادهم لتنفيذها ثم عاد فى ٢٩ منه واتفق معهم على إعداد مشروع لهذا الغرض تشترك فيه وزارة الشؤون الاجتماعية ومحافظ المدينة ومدير البلدية .

ودب النشاط كذلك فى القاهرة حول هذا المشروع مما يؤذن بنجاح الدعوة وتيقظ الهمة وتوفير عدد من المطاعم يكفى للمساهمة الحقيقية فى تغذية الفقراء بأثمان زهيدة مستطاعة .

وقد اتخذت الأهبة لافتتاح عدد كبير من المطاعم فى كل من العاصمتين يكفى لعدد من هم فى حاجة إليها ممن يقل إيرادهم عن جنيه ونصف الجنيه فى الشهر .

ومطاعم للشعب أو مطاعم الفقراء ضرب من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة الآن فى العالم المتمدن ، ومصر أولى بلاد العالم أن تأخذ بهذا الضرب من الخدمة .

ومن الأسف أن الذين يحتاجون إلى التغذية فى مصر هم المنتجون ، هم العمل والصناع وأمثالهم ممن يقوم انتاجهم على الطاقة العضلية فى الغالب ، هذه الطاقة التى تنتجها الكمية الغذائية ، والتى تنقص كلما نقص الغذاء ، فتنقص معها القدرة على العمل .

وهذه الطبقات المحتاجة إلى الغذاء فى مصر هى التى تخصص لها فى انجلترا جراية إضافية — بعد توزيع الطعام بالبطاقات — جراية لا ينالها الأثرياء والمترفون هناك ، لأن الأثرياء والمترفين لا ينتجون ، ولا يبذلون طاقة جثمانية كبيرة ، فيجب تبعا للمنطق وللعدل وللمنفعة أن يحصل العمال على الجراية الإضافية دون الطبقات العليا ، وهذا ما تصنعه بلاد الديمقراطية الحقيقية .

ومع تخصيص جراية إضافية للعمال هناك ، فان عمال الصناعات الثقيلة وعمال المناجم يتمتعون فوق ذلك بوجبة إضافية مجانية تنتظرهم على أبواب المصانع ، وعلى مداخل المناجم ، عن طريق جماعات الخدمة الاجتماعية زيادة فى رعايتهم ، وفى توفير الغذاء لهم ، وتمكينهم من بذل الجهد المطلوب منهم .

ونحن لا نطمع فى مثل هذه الحال ، ولكن أقل ما نطمع فيه أن تنتشر مطاعم الشعب بحيث تكفى جميع من يقصدونها من العمال والفقراء ليتناولوا فيها وجبة مغذية فى مقابل مبلغ صغير تحتمله ميزانياتهم الضئيلة . وفى سبيل ذلك الخير المحدود فليتنافس المتنافسون .

(٢)

والمشروع الثانى الذى يهتم به معالى الوزير ويعنى به عناية خاصة هو مشروع نوادى العمال الرياضية ، هذه النوادى التى يريد استخدامها أداة لتصحيح الأجسام ، وتنوير العقول ، وتهذيب الأخلاق ، بين هذه الطبقات العاملة التى يحبها ويعطف عليها ويحفل بكل شأن من شؤونها .

وقد بذل نفوذه فى دوائر الأعمال المصرية والأجنبية لينهض أصحاب الأعمال بمساعدة عمالهم فى إنشاء هذه النوادى وتجهيزها وإعدادها للانتفاع بها على الوجه المتقدم ، بدل أن يحط هؤلاء العمال إلى الحانات والمقاهى الفاسدة ، حيث يقتلون صحتهم الضعيفة ويبعثرون إيرادهم الضئيل ، ويزدادون جهلا وفسادا واضمحلالا .

ونوادى العمال — والنوادى الشعبية عامة — هى ضرب آخر من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة فى العالم المتمدن ، وهى هناك لا تقتصر على مجرد تمضية الفراغ تمضية لائقة ، بل هى عامل من العوامل الإيجابية فى ترقية العامل وتزويده بقسط من الثقافة أو قسط من التدريب الفنى ، مما لم يتهيأ له فى حياته العملية بسبب حاجته إلى العمل والكسب ، قبل تزوده بما يكفيه من الثقافة فى التدريب .

وفى كثير من هذه النوادى — بجانب الألعاب الرياضية والتسلية البريئة والمحاضرات العامة — حجرات خاصة للدراسة التثقيفية فى مختلف أنواع الثقافة النظرية والعملية ، وحجرات أخرى للتدريب الفنى على كثير من أنواع الفنون والصناعات ، بأجور زهيدة ، أو بغير أجر مطلقا .

فالنادى على هذه الصورة ملعب رياضى ، ومكان للتسلية ، ثم هو فوق ذلك مدرسة للتنوير والتثقيف ومشغل للتدريب والمرانة ، ومجال للرقى الأدبى والمادى ، ومصحة بدنية وروحية فى آن واحد .

وفى البلاد الأوربية والأمريكية تتنوع هذه النوادى ، فمنها أندية العمال ، ومنها أندية الصبيان العمال ، ومنها الأندية الشعبية .

فأما أندية العمال ، فهى إما أندية خاصة بطوائف معينة من العمال تنشئها النقابات الخاصة وإما أندية عامة لجميع الطوائف ينشئها اتحاد النقابات ، وهى فى كلتا الحالتين تعمل على أن يمضى المشتركون فيها أوقات فراغهم فى رياضة نافعة أو تسلية بريئة ، أو ثقافة مفيدة .

وأما أندية الصبيان العمال فتقوم بمهمة إضافية فوق ذلك كله وهى رعاية أخلاق الصبيان العمال الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، لأنهم فى هذه السن الخطرة من المراهقة عرضة لمختلف التيارات الفاسدة ، ثم هم فى الوقت نفسه فى حاجة إلى استكمال ثقافتهم ومرانتهم العملية .

وقد قام بإنشاء هذه النوادى فى انجلترا متطوعون متحمسون للخدمة الاجتماعية ، وأخيرا اتحدت هذه الأندية التى يبلغ عددها أكثر من ألف وسبعمائة ناد تضم نحو ١٦٠,٠٠٠ عضو ، وأصدرت الحكومة الانجليزية قانونا يعترف لها بشخصيتها المعنوية .

و يضم كل ناد مكتبة للمطالعة والاستعارة ، وغرفا خاصة بألعاب التسلية، ومطعم لتناول وجبات خفيفة بأثمان زهيدة ، وحجرات للتدريب العملى على الصناعات المختلفة ، وللثقافة النظرية والفنية .

وأما الأندية الشعبية العامة فهى مباحة لجميع من يقصدها من أفراد الشعب عمالا وغير عمال وأغراضها تلخص فى محاولة الترفيه عن الطبقات الشعبية بمختلف وسائل السمر والتسلية والعمل على رفع مستواهم الفكرى والخلقى بالمحاضرات والاطلاع بمكتبة النادى ، ودرس مشاكل الحياة الخاصة بروادها و بالحى الذى تنشأ فيه ، ومساعدة سكان الحى بالزيارات الصحية والإرشادات الاجتماعية والعائلية .

ونحن لا نطمع — مؤقتا — فى أن تصل النوادى المزمع تعميمها إلى هذا المستوى الرفيع الذى هيأته المساعدات المادية وقوة الروح الاجتماعية لنوادى انجلترا أو سواها ، ولكننا نطمع فى انتشار هذه النوادى وانتشار الرياضة البدنية معها وتمضية أوقات الفراغ فيما يفيد أو فيما يسلى تسلية بريئة ، والمستقبل كفيل بما بعد هذا من الخطوات الأخرى .

(٣)

وفى مصر أندية شعبية من نوع آخر ، وهى تلك المقاهى الشعبية ، التى يأوى إليها المئات كل ليلة من مختلف الطوائف العمالية وسواها ، ويقضون فيها أربع ساعات على الأقل كل يوم إن لم يكن أكثر من ذلك .

وقد رأى وزير الشؤون أن ينتفع بهذه النوادى فى مهمة وزارته الاصلاحية العامة ، وفى كلمة له ألقاها بالاسكندرية ، ذكر أنه فكر فى جعل هذه المقاهى مراكز اجتماعية لانهاض العامة ، وعلى هذا الأساس اتفق مع الأستاذ بيرم التونسى على وضع تاريخ مصر فى أسلوب شبيه بقصص " أبو زيد " يلقيها الشعراء على نغم الرباب فى المقاهى العامة .

فهذا وزير يفهم بلده حق الفهم ، وقد سبق أن تحدثنا عن فهمه هذا فى تحليل عوامل الحرية فى مصر عند الكلام عن إصلاح السجون فى عدد سابق ، وهذا الفهم نفسه هو الذى أوحى إليه أن يتجه هذا الاتجاه فى استخدام المقاهى الشعبية وهو أفضل اتجاه وأنفعه بالنسبة إلى جمهور العوام .

والذين عاشوا فى الجيل الماضى وفى أوائل الجيل الحاضر يذكرون تلك الصورة التى اختفت الآن مع الأسف صورة " الشاعر ذى الربابة " يعتلى المنصة الخشبية فى القهوة أو فى سوق القرية أو مصطبتها ، ويروح يلقى بصوته الجهورى قصص أبى زيد والزير سالم وعنترة ، مع حركاته التمثيلية التى كان المستمعون يتابعونها بعيونهم وقلوبهم . ويتأثرون بها أشد التأثر .

ولقد كانت هذه القصص مصدر ثقافة عقلية وتربية خلقية ، ومثارا للنخوة والمروءة والشجاعة ، وملهاة بريئة عن مفاسد شتى ، وسمرا ظريفا تجتمع له الحلقات ، وتنفض فى منتصف الليل لتنعقد فى الليلة التالية ، والجمهور كله آذان وكله أشواق .

وحين تؤرخ النهضة الأدبية والشعبية سيجد " الشاعر " وربابته مكانا فسيحا يحتله فى هذا التاريخ عند الحديث عن الثقافة الشعبية .

فإحياء هـذه السنة بعث لصورة محبوبة توارت من الجو المصرى ، وانتفاع بأحسن أدوات التسلية الشعبية فى بث الثقافة التاريخية القومية .

وقد بدئ بوضع قصة عن عصر محمد على الكبير ، وقصة عن عهد الثورة المصرية فنحب أن تتنوع القصص ، وأن تتناول عصورا مختلفة وأمجادا مصرية كثيرة . فعصر رمسيس وعصر صلاح الدين وسواهما من العصور الفرعونيـة والاسلامية جدير بالتسجيل على هذه الوتيرة وجدير بالنشر فى أوساط الجماهير .

ولنذكر أننا أمة تكاد تفقد شخصيتها لأنها تفقد تاريخها ، وتدرسه فى المدارس دراسة مسيئة الى الروح القومية ، دراسة سردية مفككة ، لا تعنى بتصوير الأمجاد المصرية ولا بانهاض الروح الوطنية .

فها هى ذى فرصة سانحة لتدارك النقص الواضح فى دراسة التاريخ بالمدارس ، ولتربية الروح القومية فى نفوس الجماهير ، بقصص البطولة التى تنهض الهمة وتثير النخوة ، وتشغل الفراغ بتأثرات روحية عالية ، وتستخدم المقاهى الشعبية فى الخدمة الشعبية على أيسر سبيل.

(٤)

وقد أخرنا الحديث عن" الاخصائيين الاجتماعيين" لأن شأنهم أعظم من هذه الشؤون جميعا ، ولأن وجودهم هو أساس الإصلاح الاجتماعى القائم على قواعد صحيحة . وفى هذا المعنى يقول معالى الوزير فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية :

" ان وزارة الشؤون الاجتماعية أنشئت لبناء المجتمع المصرى الذى يحتاج بناؤه الى أيد كثيرة وعدد عظيم من البنائين ، وهذا المجتمع يحمل كثيرا من أعباء الماضى ، ولذلك يجد المجاهدون فى سبيل اصلاحه مشقة عظيمة " .

ثم ذكر أن الأعمال الاجتماعية تحتاج الى كثير من المتخصصين ، وأن المنشئات الاجتماعية التى تديرها الوزارة كالملاجئ والسجون والاصلاحيات ، يعتورها كثير من النقص لعدم توافر الاخصائيين فيهـا ، وهو لذلك يعول كثيرا على عمل مدرستى الخدمة الاجتماعية فى الاسكندرية والقاهرة .

وهذه حقيقة واقعة، فالإصلاح الاجتماعى المنظم فى حاجة إلى الإخصائيين الاجتماعيين وإلى الدراسات الاجتماعية ؛ و إلى الإحصاءات والتجارب القائمة على الخبرة، و إلا أضحت أعمالا ارتجالية لا ترتكز إلى قواعد علمية .

وسيمضى وقت طويل قبل أن يتهيأ للوزارة عدد وافر من هؤلاء الإخصائيين .

لهـذا يرى معاليه إنشاء مدارس اجتماعية فى المديريات لتعليم مدرسى المدارس الإلزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ليكونوا مرشدين اجتماعيين متخصصين ، وأن فى مصر حوالى أربعة آلاف قرية و ٢٥ ألف عزبة وفى وسع هؤلاء المدرسين أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى الأقاليم و يوجهوا المجتمع وجهة جديدة .

والانتفاع برجال التعليم الإلزامى فى هذا الطريق ممكن وسهل وسريع، إلى أن يكثر عدد المتخصصين الاجتماعيين و يفى بحاجة المنشآت جميعا ، ولكن المعلم الإلزامى منقل بالدروس وشاعر بالغبن المـادى فى مرتبه ، فإذا أمكن الاتفاق مع وزارة المعارف على تخفيف عبء الدروس عن كاهله ولو قليلا ، و إذا أمكن أن يمنح مكافأة إضافية نظير قيامه بالخدمة الاجتماعية ، كان رسول إصلاح فى قريته سهل الإعداد ، ميسرا للنفع فى بيئته المحدودة ، وبذلك تتحول المدارس الإلزامية إلى مراكز اجتماعية فى المساء كما أشار إلى ذلك وزير الشؤون.

(٥)

ومن مظاهر الاتجاه الاجتماعى الجـديد فى التكافل الاجتماعى أن تعد وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعا يقضى بوضع شروط خاصـة لإنشاء العزب ، تتضمن وجوب إقامة دورات للمياه ومغاسل فيها ، و إقامة بعض المنشآت لتحسين حالة الفلاح كالمراكز الاجتماعية.

وهو اتجاه واجب و إن كان يقتصر على العزب الجديدة التى تنشأ بعد إصداره ، وكان من الحق والعـدل أن يشمل جميع العزب القـديمة كذلك تحقيقا لأبسط مظاهر التضامن الاجتماعى بين الملاك المنتفعين وعمالهم الزراعيين المنتجين .

ولولا ضعف الروح الاجتماعية فى مصر لمـا احتاجت الدولة إلى سن مثل هذا التشريع لأن مصلحة الملاك البعيدة وحدها كانت كافية لأن ينهضوا بهذا الإصلاح ، بعـد ما ثبت من التجارب فى مصر وأوربا أن الملاك وأصحاب الأعمـال هم الرابحون فى النهاية من كل إصلاح اجتماعى أو صحى فى محيط فلاحيهم وعمالهم .

فقد تبين بالتجربة أن المصانع التى تؤدى لعمالها بعض الخدمات الاجتماعية كإعداد المساكن الصحية والنوادى الرياضية وسواها ، تكسب من إنتاجهم المتزايد أكثر مما أنفقت .

وقد تبين من تجارب الجمعية الزراعية الملكية فى عزبتيها النموذجيتين أنها هى الرابحة من زيادة إنتاج فلاحيها وتوافر صحتهم ، وقوة مجهوددم فى أرضها .

ونتائج هـذه التجارب فى الخارج وفى مصر تجعلنا نتفاءل خيرا ونرجو ألا تقام العراقيل فى وجه الوزارة عند ما تهم بسن هـذا القانون العادل الكافل لمصلحة الفريقين : الملاك والفلاحين .

(٦)

ثم نتحدث عن أهم مشروع من مشروعات الدولة فى هذا العام وهو اتجاه وزير الشؤون إلى تقسيم الأراضى الحكومية الصالحة للزراعة ومقدارها مائة ألف فدان إلى ملكيات صغيرة كل منها خمسة أفدنة وتوزيعها على صغار الفلاحين .

وهو مشروع أكبر من أن نتحدث عن آثاره الطيبة فى هذا الحيز الضيق ولكننا نكتفى بهذه الاشارة العاجلة هنا على أن نعود اليه بالشرح فى كلمة مستقلة .

وجملة ما يقال فى هذا المشروع : أنه يساعد على خلق طبقة متوسطة من الزراع .هذه الطبقة التى تضمحل الآن وتتوارى لأن الملكيات الكبيرة تبتلعها بينما الطبقـة المتوسطة هى عماد الشعوب ووسيلة الاستقرار والتقدم .

وحين يتم هـذا المشروع نخلق من العـدم ٢٠,٠٠٠ ألف أسرة نرفعها من الحضيض إلى المستوى اللائق ، وهو عمل عظيم ولاشك ، جدير بالتسجيل فى تاريخ الإصلاح .

وعلى أية حال فإن فى هذا الاهتمام الذى يوزعه معاليه على كافة نواحى الإصلاح الاجتماعى ووسائله ما يبشر بالخير ويدعو إلى التفاؤل ، ونحن فى مرحلة يجب أن نأخذ فيها بكل وسيلة من وسائل الإصلاح ونتعلق بكل خيط من خيوط الرجاء ، والله الموفق لما فيه الخـير والفلاح .

جهود وزارة الصحة
ومشروعاتها الجديدة
تطهير المنازل — محاضن الأطفال — مستعمرات السل — تغذية فقراء أسوان — معايير غذائية

مشروع تحسين الصحة القروية هو المشروع الفذ الذى وضعت وزارة الصحة أساسه فى هذا العام ، وهو مشروع ضخم فصلنا الحديث عنه فى عدد سابق من هذه المجلة وأسميناه مشروع الموسم ، وقلنا : إن وزير الصحة الذى أخرجه الى حيز الوجود جدير بأن يلقب " وزير تحسين الصحة القروية " وهو لقب عظيم .

وفى اعتقادنا أن هذا المشروع وحده لو استغرق نشاط وزارة الصحة كله لكان حسب البلاد منها . ولكن فى وزارة الصحة فى هذه الأيام نشاطا مجددا غير محدود، فهى تمد ببصرها الى نواح شتى ، منها هذه النواحى التى عنونا بها لهذا المقال ، والتى سنخص كلا منها بكلمة استعراضية قصيرة .

(١)

أعد حضرة صاحب العزة الدكتور عبد المجيد بك رمزى مفتش صحة العاصمة مشروعا لتنفيذه فى الأحياء الفقيرة من العاصمة وهو يقضى بتخصيص فرقة للتجول بهذه الأحياء وكنس المنازل القديمة الفقيرة وتطهيرها وتطهير الأثاث والملابس والأشخاص أنفسهم لوقايتهم من الأمراض .

وقد بدئ بتنفيذ هذا المشروع فى أواخر شهر أكتوبر فى منطقة " عشش الساقية " بحى السيدة زينب ، وهى منطقة ذات مساكن صغيرة وأزقة ضيقة ، وقامت بأعمال التنظيف فرقتان : تؤلف كل منهما من مبخر وأربعة عمال ، و " ماشطتان " يرافقهم ملاحظ أو بئة وزائرة صحية .

وبدأت كل فرقة عملها بكنس المنازل وإزالة الفضلات منها ومن سطوحها ورش الغرف بالكبريت المطهر وغيره من المواد القاتلة للحشرات ، ثم قامت بغسل أجسام السكان وتمشيط شعور النساء وتطهير الملابس وتبخيرها . حتى إذا انتهت أعمال التنظيف ألقى الملاحظ محاضرة بعبارات سهلة عن وسائل العناية بالنظافة حرصا على صحة السكان وصحة أطفالهم .

وقد قابل سكان هذه المنطقة تلك الحملة بالترحيب والاغتباط كما تقول جريدة الأهرام.

ثم زار مفتش العاصمة يوم ٢٩ أكتوبر أحياء الشماشرجى والعسال ومنشية الصدر والمطرية للنظر فى أمر تطهير منازلها بالطريقة المتقدمة و إنشاء البالوعات لتصريف المياه المختلفة من الاستعمال والحنفيات المجانية للشرب وستتابع هذه الفرق عملها بعد ذلك فى جميع الأحياء الفقيرة .

وما من شك فى أن العمل الذى يقوم به مفتش العاصمة عمل نافع لسكان هذه الأحياء ولسواهم من سكان الأحياء الأخرى على السواء ، فقد ذكر عزته أن هذه المنازل القذرة هى مصدر الحشرات التى تنشر الأوبئة ؛ فكثيرا ما يحدث أن يكون بعض الخدم مثلا — وأكثرهم من سكان هذه الأحياء — مصابين بأمراض فينقلوا عدواها إلى بيوت مخدوميهم .

و بغض النظر عن هذا ، فإن سكان هذه الأحياء المساكين أصحاب حق أولى فى النظافة وفى الصحة التى يجب أن يكفلها المجتمع للجميع ؛ فإذا قصرت مواردهم الخاصة عن الاستمتاع بحقهم فى النظافة وحقهم فى الصحة فيجب أن تقوم لهم الدولة — كما صنعت الآن — بتحقيق ما تعجز عنه مواردهم الضئيلة .

إن هذه الأحياء التى لا يكاد يعرفها أحد ، هى بعض أحياء العاصمة ! العاصمة ذات القصور الفخمة والأحياء الراقية ، والضواحى الجميلة ، وأبسط مبادئ المساواة أن تستمتع هذه الأحياء المنبوذة بالضوء والهواء والنظافة ؛ فأما الضوء والهواء فهناك مشروع فى وزارة الوقاية طلبت له مليونا من الجنيهات لشق شوارع و إنشاء فسحات أو ميادين فى هذه الأحياء ولعل المشروع أن يكون عاجل التنفيذ — وأما النظافة فهذا المشروع الذى يقوم به تفتيش العاصمة يحققها بعض التحقيق ، على أن يتكرر فى الحى الواحد مرات كثيرة لا تزيد المدة بينها على شهر و إلا عاد الفقر يلطخ هذه الأحياء بالقذارة من جديد !

على أن هذا المشروع المفيد فى حاجة الى تكملة لا نحسبها قد غابت عن القائمين بالأمر ولكن ضيق الميزانية هو الذى أقعدهم عنها . هذه التكملة هى أن تحمل هذه الفرق معها " كنتينات " متنقلة توزع فيها وجبة طعام ساخنة أو كمية من اللبن لتوزيعها على أهالى هذه الأحياء ولو ثلاث مرات فى الأسبوع .

فالواقع أن سكان هذه المنازل الحقيرة لا تنقصهم النظافة الأولية وحدها للحصول على الصحة ، ولكن تنقصهم التغذية فى أبسط صورها ، ومعظم هؤلاء السكان هم من صغار العمال والباعة الجوالين والخدم ؛ ومعظمهم عاجز عن الغذاء المناسب البسيط ، وأطفالهم يذوون ويمرضون بسبب الجوع أكثر من القذارة ، أو منهما معا . وقد يعجز بعضهم عن الحصول على ما يساوى وجبة فى مطاعم الشعب على رخصها ، فيجب أن تمنحهم هذه الوجبة بالمجان .

وفى اعتقادنا أن هذه الوجبة الغذائية تقوم بدعاية جميلة لفرق التطهير بين جماعة السكان ، وإذا كان الأهالى قد قابلوا فرقتى التطهير مقابلة طيبة فى بعض الأحياء ، فقد يستعصون عليها فى أحياء أخرى ، وعندئذ تقوم الوجبة الساخنة أو كوب اللبن بفتح الطريق أمام المطهرين !

ومثل هذا العمل يقع فى أوربا وأمريكا كل يوم ، وإن كان القائمون به من أفراد الشعب وبأموال الشعب ، لأن التضامن الاجتماعى هناك كفيل أن يشعر القادرين بضرورة معاونة المحتاجين . وإلى أن ينمو فى مصر هـذا الشعور ستظل السلطات مطالبة بسد هذه الثغرة من مواردها العـادية أو من الضرائب الاضافية للخدمة الاجتماعية . والوقت أنسب الأوقات لفرض هذه الضرائب حيث تتضخم الثروات وتتكدس الأموال .

(٢)

وقد استقر الرأى فى وزارة الصحة على إنشاء خمسة محاضن للأطفال الفقراء فى القاهرة وقدر المـال اللازم لهذا المشروع بأحد عشر ألف جنيه ستدرج فى الميزانية الجديدة ، نظرا لما لوحظ من أن كثيرات من العاملات والخادمات ذوات الأطفال يثقلهن القيام بعملهن الذى يرتزقن منه مع القيام بحضانة أطفالهن .

وقـد استقر الرأى على أن يباح لكل أم عاملة أو خادمة أن تترك طفلها فى أحد هـذه المحاضن بياض النهار مقابل مبلغ زهيد ، أو بلا مقابل إذا عجزت عن ذلك ، على أن تتسلمه فى المساء ، وبهذا تستطيع أن تؤدى عملها الذى منه تقتات ، وأن تضمن سلامة طفلها ورعايته .

وهذا مشروع طالبنا به فى هذه المجلة منذ بضعة أشهر لما لاحظناه وقتها مما لاحظته وزارة الصحة الآن ، فلا يسعنا إلا أن نحمده للوزارة وأن نسجله مغتبطين .

ونحسب أن الأمر فى هذه المحاضن لن يقتصر على مجرد حضانة الأطفال وإرجاعهم آخر النهار إلى أمهاتهم كما تركتهم . فسيراعى ولاشك توافر الشروط الصحية فى هؤلاء الأطفال فتنظف أجسامهم وملابسهم فى هذه المحاضن ، وسيكشف عليهم طبيا ، ثم يعالج المريض منهم ، وسيغذون غذاء حسنا ، وهذه الإجراءات كفيلة بتعويد الأمهات على تنظيف أبنائهن ولاسيما إذا ساعدتهن المحاضن بالإرشادات وبقليل من الصابون ، وببعض الملابس التى يجود بها الخيرون وبكميات إضافية من اللبن الطبيعى أو المجفف .

فنحن نعتقد أن هذه المحاضن لن يقصد بها أن يكون إيرادها معادلا لنفقاتها ، بل نحن نطالب بأن تكون بالمجان لأبناء العاملات والخادمات جميعا ، مع فرض رقابة شديدة على

الحاضنات والممرضات والخادمات فيها بحيث نضمن عدم الإهمال الذى يشاهد دائما فى مستشفيات الفقراء ؛ فهذا الإهمال قد يتحمله الفقراء الكبار ، ولكن الأطفال لا يحتملونه وقد يتأثرون به تأثرا يدعو إلى المرض أو الوفاة .

فينبغى أن تختار الحاضنات والممرضات والخادمات اختيارا دقيقا ممن تشبعت نفوسهن بالرحمة وميولهن بروح الخدمة الاجتماعية ، وينبغى أن تكون الرقابة فوق ذلك شديدة لا على النحو المتبع فى المستشفيات المجانية ، وأن تكون العقوبات التى توقع على المهملات والعابثات عقوبات سريعة وشديدة وحاسمة .

وعند ما تفلح التجربة قد تأخذ الوزارة فى إنشاء محاضن أرقى للاطفال الذين تتركهم أمهاتهم بالوفاة أو بالمرض الطويل ممن يقدر أهلهم على الإنفاق عليهم ؛ وقد فصلنا فى عدد سابق من هـذه المجلة قصة الوالد الذى توفيت زوجته وحار بطفليه بين الملاجئ الأجنبية التى تتخذ من دور الرحمة معاهد للتبشير ، وبين الملاجئ الحكومية التى لا تقبل إلا أبناء الطريق ، والتى تطلب من الوالد الذى يريد إيداع أطفاله بها أن يتخلى عن نسبتهم إليه !!!

وإن كثيرا من الآباء فى هذه الحالات لمستعدون لأداء مبالغ تتراوح بين ثلاثة جنيهات وخمسة عن الطفل فى الشهر الواحد ، فتصبح المحاضن موارد ايراد يكفى أو يزيد على المصروفات ، وتريح الآباء المثقلين الذين لا يجدون المراضع المريحات السليمات .

(٣)

والمشروع الثالث الذى درسته وزارة الصحة وأدرجت الاعتمادات اللازمة له فى العام المقبل ، مشروع انشاء معازل أو مستعمرات لمرضى السل ، على أثر ما تبين من كثرة عدد المسلولين على الرغم من الجو الصحو والشمس المشرقة فى وادى النيل ، وما ظهر من عدم جدوى العلاج ، لأن كثيرين ممن ينالون الشفاء ينتكسون بسبب عودتهم الى العمل الشاق الذى يزاولونه ؛ وبسبب عجزهم عن التغذية الصحية بعد مبارحتهم المصحات . ثم يختلطون بالأصحاء فينقلون اليهم العدوى فى كل مكان .

والواقع أن المشكلة المصرية الخالدة الأصيلة هى مشكلة قلة التغذية للغالبية التى تتيح لميكروب السل أن يأكل رئات الألوف ويطيح بحياتهم على الرغم من الشمس الصاحية والجو المشرق فى وادى النيل .

ثم تتعاون مع قلة التغذية روح الأنانية وضعف الشعور الاجتماعى . ذلك الروح الذى يلهى المتمتعين عن العناية بالمحرومين ، ومعاونتهم على اجتياز مفازة الحياة .

فمثل هذه المستعمرة التى تهم بها وزارة الصحة قد أقامته الجمعيات الأهلية بالعشرات فى جميع بلاد العالم المتمدين على نفقتها من التبرعات الشعبية . أقامته رعاية للمرضى بهذا المرض الوبيل من جهة، ورعاية للأصحاء الذين يتعرضون للعدوى بالاختلاط من جهة أخرى.

وسيتاح للمرضى الناقهين فى مستعمرات السل التى تنشئها وزارة الصحة أن يعيشوا مع عائلاتهم وأن يقتاتوا من أعمال سهلة تناسب حالتهم الصحية ، فلا ينتكسوا مرة أخرى ، مع ملاحظتهم طبيا حتى اذا ظهرت أعراض النكسة على بعضهم رد الى المصحات للعلاج مرة أخرى ، وهو على هذا مشروع انسانى وصحى جليل يستحق الشكر والتقدير .

وإن هذا المشروع ليصبح أتم وأكمل لو استطاعت وزارة الصحة فى الخطوة التالية أن تنشئ معازل للأطفال الذين يولدون من أبوين مسلولين كلاهما أو أحدهما ، فقد ثبت أن السل مرض غير وراثى وأن إصابة الأطفال المولودين إنما تنشأ من العدوى بعد الولادة. وفى هذا الصدد يذكر الدكتور عبد الرءوف بك حسن مدير مصحة فؤاد الأول — وهو حجة فى فنه وفى نقله — التجربة الآتية :

" هناك دليل عملى مقنع على عدم أهمية الوراثة فى السل . هذا الدليل هو مشروع " جرانشيه " الذى بدأه الأستاذ " جرانشيه " فى فرنسا سنة ١٩٠٣

"والمبدأ الذى استحدثه "جرانشيه" بسيط فى حد ذاته ولكنه بعيد الأثر فى وقاية الأطفال من عدوى السل . ذلك أنه يفصل الأولاد المولودين من أمهات مسلولات من أمهاتهم بمجرد الولادة ويرسلهم إلى الأرياف لتربيتهم فى عائلات ريفية خالية من عدوى السل .

" ومن المدهش حقا أن أصرح للقراء أنه خلال المدة ما بين سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٢٥ شمل المشروع ألفين وخمسمائة طفل أصيب بالسل منهم سبعة فقط توفى من هؤلاء اثنان بالالتهاب السحائى الدرنى وعوفى الخمسة الباقون بالعلاج ، مع أن هؤلاء الأطفال لو تركوا فى وسطهم العائلى الموبوء لكان من المنتظر أن يصاب منهم بالسل ٦٠٪ أى ألفا وخمسمائة طفل بدل سبعة أطفال وأن يتوفى منهم بالمرض ٤٠٪ أى ألف طفل بدل طفلين فقط .

" وخلاصة القول فى موضوع علاقة السل بالوراثة أنه من الوجهة العملية يتعين على المنادات بأعلى صوتى أن المشاهدة الطويلة والخبرة الناضجة قد دلتا على أن اعتقاد الجمهور بأن انتقال السل من الوالدين إلى الذرية بالوراثة اعتقاد لا يستند على أسس علمية صحيحة بل هو وهم أرى من واجبى تبديده فى الحال . إن قرب الجوار وطول الاختلاط بين أفراد العائلة الواحدة هما أهم العوامل التى تمهد لميكروب السل سبيل الانتقال من الوالدين إلى الذرية بطريق العدوى لا بطريق الوراثة " .

وهـــذه الفقرات التى اقتطفناها تكفى للدلالة على ضرورة وجود معـازل الأطفال فى المرحلة التالية من مراحل مشروع السنوات العشر الذى تضعه وزارة الصحة ليسير عملها على أساس ثابت وخطة واضحة .

(٤)

ومن الملاحظ فى مصحات السل كثرة المصابين من سكان مصر العليا وصعوبة شفائهم. وهذا قد يبدو غريبا ، ولكن تفسيره أن هؤلاء الناشئين فى جو جاف لا يحتملون رطوبة الجو غالبا إذا نزحوا الى القاهرة والوجه البحرى للخدمة أو العمـل ، ولعل هناك سببا آخر هو فقرهم وسوء تغذيتهم وضعف بنيتهم بسبب سوء التغذية واستعدادهم بهذا للعدوى بلا مقاومة.

وقد قررت وزارة الصـحة إنفاق مبلغ ألفين من الجنيهات لتحسين التغذية فى أوساط الفقراء بأسوان بعد رحلة معالى وزير الصحة الى هذه الجهات ؛ وهو قرار إنسانى حكيم ؛ ولعلنا لا نتهم بالتكرار حين نعود الى القول بأن مسألة تغذية الفقراء تنال حظا كبيرا من عناية الأمم الراقية واهتمامها ، وتنوع وسائلها هناك ومواردها ؛ وأن تركها للسلطات المسئولة وحدها أمر غير طبيعى فهى واجب الأغنياء القادرين ، وواجب الجماعات الشعبية المطالبة بالنهوض بها وبسواها من الخدمات الاجتماعية .

والاقليم الأسوانى لا يعدم أثرياء من بنيه يعيشون هناك أو نزحوا الى العواصم ليستمتعوا بما فيها من رفاهية وترف ورخاء تتيحها لهم مواردهم المـالية ، وعلى هؤلاء وهؤلاء يقع الواجب الأول فى المساهمة مع وزارة الصحة بتغذية مواطنيهم وقد يكون من بينهم أقرباؤهم الفقراء!

على أن وحدة الشعب تحتم على غير أبناء الاقليم أن ينهضوا بهذا العمل الانسانى الجليل ونحن نسمع ونقرأ أن الكثيرين دفعتهم الأريحية لكسوة وإطعام فقراء الأقطار الأخرى ، أو للترفيه عن الجنود من مختلف الشعوب. فيجب أن يضيفوا الى هذه الروح الطيبة المشكورة روح العطف على مواطنيهم الأقربين ، والجار أولى بالمعروف . ومشاكل الغذاء تزداد تعقدا بسبب الحرب وما جرته من الغلاء وقلة الأغذية التى فى متناول الفقراء .

(٥)

ولا يرجع سوء التغذية فى مصر إلى الفقر وحده ، بل يرجع جانب منه إلى الجهل وعدم معرفة القيمة الغذائية الصحيحة لمختلف مواد الطعام لا بين الجهلاء فحسب بل بين المتعلمين أيضا ، لأن الثقافة الغـذائية مهملة فى برامج التعليم ، وكانت مهملة فى برامج وزارة الصحة حتى اليوم .

ومعرفة القيمة الغذائية لأنواع الطعام لازمة ومفيدة فى تبصرة الأفراد والأسر بحقيقة ما يأكلون وفى توفير كثير من النقود التى تنفق فى شراء مواد غالية لا تزيد قيمتها الغذائية

على مواد أخرى يمكن شراؤها بربع الثمن، فكثيرون منا يتهافتون على اللحوم مثلا على اعتقاد أنها ذات قيمة غذائية عالية و يشترونها بثمن مرتفع نسبيا بالقياس إلى مواد أخرى تحتوى على قيمة اللحم الغذائية أو أكثر منها كفول الصويا والحبوب ذات الفصين على وجه العموم أو كمنتجات الألبان مثلا .

و بجانب معرفة القيمة الغذائية لمواد الطعام يلزم أن تبحث معايير التغذية اللازمة لكل فرد حسب سنه وحسب نوع عمله ، وأن ينتشر العلم بهذه المعايير حتى يستطيع كل فرد أن يحرص على تناول المعيار الذى يناسبه ، عن طريق مواد الطعام التى تتوافر فيها الكمية الغذائية المطلوبة بأرخص الأسعار .

وهذه المسألة أثيرت قبل اليوم حينما كلف " الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية " ثلاثة من كبار الأطباء أحدهم معالى وزير الصحة الحالى ببحثها ، وقد قدم وقتها إلى الاتحاد تقريرا جاء فى مقدمته :

" تجب مراعاة العادات الغذائية التى تختلف فى جهة عنها فى أخرى داخل المملكة ذاتها والتى كثيرا ما تكون ناتجة عن وجود نوع معين من المنتجات أكثر من سواه فى هذه الجهة أو تلك ، كما تجب مراعاة مقدار الانتاج من مختلف المواد الغذائية الصالحة وأسعارها ومواسمها ، وكذلك قدرة الطبقات الفقيرة على الشراء وأخيرا وليس آخرا ما يكون للغذاء الشعبى المقترح من علاقة بالإنتاج الزراعى والحركة التجارية أو الاقتصادية عامة " .

والآن وقد صار معاليه وزيرا للصحة جعل من برامج السنوات العشر وفى السنة الأولى هذا الموضوع الهام ، فعلينا أن ننتظر النتائج فى تفاؤل وثقة .

— من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن .

— من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ .

— من شاور الرجال شاركهم فى عقولهم .

— من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

الاتجاه القومى للتعليم

عمل واجب بعد الاستقلال

بقلم الأستاذ سيد قطب

فى العهد الذى كانت مصر فيه خاضعة لسلطة الاحتلال التركى أو الانجليزى لم تكن للتعليم أهداف قومية . وكان هذا طبيعيا معقولا .

ولكن هذا العهد قد انقضى بعد تغير موقف مصر السياسى .

فماذا صنعنا نحن لنلائم بين اتجاه التعليم فى المدارس واتجاه البلاد فى طريقها الجديد ؟

لم نصنع أكثر من ترقيع البرامج والنظم، وزيادة بعض مواد الثقافة، وتعديل بعض طرائق الدراسة ، بينما بقى الأساس الموضوع من قبل دون تعديل أو بتعديل خفيف يمس العرض الظاهر دون الجوهر الأصيل .

هذا الترقيع فى النظم والبرامج جاء مخلا وضارا ، فلم يبق على النظام القديم الذى كان منطقيا مع عصره ، منطقيا مع أغراضه ، مؤديا إلى أهدافه ، ولم يستحدث نظاما جديدا يكون منطقيا مع العصر الجديد مؤديا إلى أهدافه الجديدة .

كثر التغيير والتبديل ! وكثر رسوب التلاميذ وشكواهم، وكثر المتعطلون من المتعلمين، وكاد النظام الاجتماعى يضطرب بسبب هذا التعطل ، واضطرب النظام الاقتصادى فعلا، ولم تربح القومية المصرية شيئا من وراء النظام المرقع البديل .

ولست هنا فى مقام بيان عيوب التعليم عامة وأثرها فى الأوضاع التى نشكو منها الآن وعلى من يريد الاستزادة فى هذا الموضوع أن يقرأ تقرير وزير المعارف عن عيوب التعليم الثانوى ، وكتاب الدكتور حافظ عفيفى باشا " على هامش السياسة " وكتاب الدكتور

طه حسين بك المستشار الفنى لوزارة المعارف "مستقبل الثقافة" وكتاب مريت بطرس بك "سياسة الغد" وكتاب الدكتور على عبد الواحد وافى "البطالة" وكتاب الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر "التعليم والمتعطلون فى مصر" وسواها من الكتب والتقريرات والمقالات .

إنما أريد فقط أن أتحدث عن نقص الاتجاه القومى فى المدرسة المصرية وفى وسائل الثقافة المصرية من صحافة و إذاعة ومسرح وسينما .

وحين يكون على رأس وزارة المعارف نجيب الهلالى باشا صاحب التقرير المعروف ، وعلى يمينه مستشارا فنيا ، الدكتور طه حسين بك صاحب الكتاب المعروف ، نتنظر أن يصنع شيء فى هذا الشأن غير ما صنع من قبل ، وأن يوضع للتعليم أساس جديد كامل .

وقد نشر المستشار الفنى لوزارة المعارف منذ سنوات كتاب "مستقبل الثقافة" ، ونحن نرتضيه دستورا للثقافة يجب تنفيذه فى عهد الاستقلال .

وهذا الكتاب مرصود كله للدستور الثقافى فى جميع مراحله ، ولكن به صفحات كاملة من الشعور القومى وضرورة بثه فى نفوس الناشئة ، ضمانا للاستقلال ، وللديمقراطية التى هى الثمرة الداخلية للاستقلال ، فلنقتطف بعض الفقرات من هذه الصفحات .

يقول فى صفحتى ٧٧ و ٧٨ من الجزء الأول : "نحن إذا فكرنا قليلا انتهينا إلى أن من أوجب واجبات الدولة المصرية فى عشرات الأعوام المقبلة — أن تحوط الاستقلال الخارجى ، وأن تقر النظام الديمقراطى فى داخل الحدود المصرية . ومهما يكن جهد الأفراد فى حياطة الاستقلال وتثبيت الديمقراطية ؛ فان هذا الجهد ليس شيئا بالقياس الى الجهد الذى يجب أن تبذله الدولة ؛ لأن الدولة أقدر على ذلك وأنفذ اليه وهى لم تقم بعد إلا له .

"و إذا كان أهم أعمال الدولة أن تحوط الاستقلال الخارجى ؛ فإن الوسائل الى حياطة هذا الاستقلال هى من أول واجبات الدولة ومن أهم أعمالها . وأى وسيلة الى حياطة

الاستقلال تعدل هذه الوسيلة الأساسية. هذه الوسيلة الأولى والأخيرة؛ وهى تنشئ الطفل المصرى والفتى المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياطته والذياد عنه ؟

" وإذا كان من أول واجبات الدولة أن تحمى بعض المصريين من بعض؛ وأن تكفى بعضهم شر بعض ، وأن تكف بأس بعضهم عن بعض ؛ وأن تقر فيها العدل والأمن ؛ وتحقق لهم المساواة وتكفل لهم الحرية . إذا كان ذلك كله من أول واجبات الدولة وأهم أعمالها ؛ فان الوسيلة الى هذا كله من أول واجبات الدولة وأهم أعمالها . وأى وسيلة إلى تثبيت الديمقراطية تعدل هذه الوسيلة الأساسية؟ هذه الوسيلة الأولى والأخيرة وهى تنشىء الطفل المصرى والفتى المصرى على أن يحب مواطنيه، ويؤثرهم بالخير ، ويضحى بنفسه فى سبيل حمايتهم من الشر وحياطتهم من الظلم ، ويشعر بأن عليه واجبات قبل أن تكون له حقوق ؟ "

فهل مما يكفل تنشئة الطفل المصرى والفتى المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياطته والذياد عنه ، أن يتضمن برنامج المدارس الابتدائية فى مادة التاريخ موضوعا عن : " مزايا الحملة الفرنسية على مصر " ومثله من الموضوعات .

جائز أن تكون هذه الموضوعات ، مما يدرس فى عهود خاصة ، لتؤدى الى هدف مقصود ، فما الذى يجيز لها أن تدرس فى عهد الاستقلال للتلاميذ الصغار ؟

وجائز أن تكون هذه حقائق تاريخية، أو أن تكون ادعاءات مقصودة للدعاية، ولكنها فى كلتا الحالتين لا يجوز أن تدرسها ناشئة البلاد فى صورتها هذه ، ويجب أن تؤجل إلى مرحلة الجامعة عند التحقيق التاريخى . أما عهد الطفولة وعهد الشباب ، فيجب أن ينقضيا فى تلقين الأطفال والشبان حقائق أخرى تصور الأمجاد المصرية ، وتملأ نفوسهم بالعزة القومية .

وليس ما ذكرت إلا مثلا من أمثلة كثيرة فى مادة التاريخ وحدها — وهى أهم المواد التى يعتمد عليها فى " تنشىء الطفل المصرى والفتى المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياطته والذياد عنه" .

فهل شئ من هذا كله يساعد على تنشيء الطفل المصرى والفتى المصرى كما ينبغى ؟ !

وليس شيء فى برنامج الدراسة الحالى مما يبث الشعور القومى ويميه فى نفوس الناشئة فالتاريخ المصرى ضائع بين تواريخ الأمم الأخرى ، ولا يشعر الطفل والفتى أنه تاريخ وطنى تبذل له عناية خاصة ويوجه توجيها خاصا ، والجغرافية المصرية سريعة خاطفة مدغومة فى الجغرافية العالمية ، لا يحس معها الطفل والفتى أنها جغرافية بلاده وأنها يجب أن تتمتع بانتباه خاص ، والمجتمع المصرى الذى يطلب مؤلف " مستقبل الثقافة " أن ينشأ الطفل المصرى والفتى المصرى على حبه والتضحية فى سبيله ؛ لا تأتى سيرته إطلاقا فى برامج الدراسة ، ولا ينشأ الطفل والفتى على الشعور بوجوده مجرد الشعور !.

* * *

يجب إذن أن يقام التعليم وأن تقام التربية على أساس جديد ، ونضرب هنا بعض الأمثال فى بعض مواد الدراسة ، وبعض وسائل التربية .

ففى التاريخ نرى أن الكتب التى بأيدى تلاميذ المدارس اليوم عن مصر يجب أن تنزع وتلقى بعيدا عن متناولهم حتى لا تشوه لهم تاريخ بلادهم ولا تحيله جامدا ميتا لا روح فيه ، وحتى لا تخلق بينه وبينهم جفوة توصد نفوسهم دونه كما هو حادث الآن ، إذ أن مئات الأسماء للملوك والحوادث الحربية وللأمكنة وللتواريخ الرقمية التى حدثت فيها تصد الناشئ عن هذا التاريخ وتكرهه فيه لأنه واجب ثقيل لا حياة فيه .

يجب إذن أن تختفى هذه الكتب المؤذية ، واختفاؤها هو واجب وطنى قبل أن يكون واجبا علميا .

فإذا منعت دراسة هذه الكتب ، فيجب أن تحل محلها كتب أخرى متدرجة حسب مراحل الدراسة ، ففى المدارس الابتدائية تستبدل بها كتب قصصية عن حياة المصريين تصور هذه الحياة تصويرا صحيحا ، وتشتمل على عاداتهم وتقاليدهم وبعض عقائدهم وأناشيدهم ، حتى تتجسم فى هذه المخيلات الصغيرة صورة شاخصة لمصر لا أثر فيها للسرد الممل ولا للتواريخ الرقمية للحوادث إلا ما تيسر فى ثنايا القصص المحبوب .

وفى المدارس الثانوية تدرس سير بعض الأبطال القدماء والمحدثين بحيث تشمل هذه السير تاريخا للحوادث فى عصرهم ووصفا لحالة الشعب وبسطا لعاداته وتقاليده وديانته وكثير من أناشيده فى مواسمه وأعياده ، وتدرس السير الشخصية من ألذ وأمتع الدراسات ، وهو فرصة لتصوير حياة الشعوب وحوادثها فى خلال حياة الشخصية المدرسية ، وهو فى مرحلة التعليم الثانوى بالذات — مرحلة المراهقة — أنسب طرق الدراسة وأبعث ما يكون لحيالهم الخصب وعواطفهم المشبوبة واستعدادهم للتشبه بالأبطال ، ولاسيما حين يكون هؤلاء الأبطال من دمهم ومن عنصرهم .

وفى التاريخ المصرى كثير من الأساطير يحول هذه الأساطير وحول الحوادث التاريخية وحول الأشخاص الحقيقيين والوهميين ينبغى أن تحاك القصص والروايات والأفلام ، ويوضع ذلك كله فى متناول التلاميذ والطلاب حسب أعمارهم وثقافتهم للقراءة والمشاهدة والتمثيل .

وهذه الآثار والتماثيل والنقوش يجب عقد الصلة بينها وبين نفوس التلاميذ والطلاب بتكرار زيادتها وشرحها شرحا وافيا ، وحينئذ تنقلب هذه المخلفات الجامدة حية نابضة تحدثهم عن نفسها وتقص عليهم تاريخها : وتثير الروابط الكامنة بينهم وبينها . فتعيش فى أوهامهم عيشة الأحياء المبعوثين .

فاذا تجاوزنا مرحلة العهود الفرعونية فيجب أن تتجه الدراسة إلى وضوح الشخصية المصرية حتى فى عهود الغزو والاحتلال ؛ وإلى غلبة هذه الشخصية على شخصية الفاتحين ، وإلى أثر الروح المصرية والعقائد المصرية والأساطير المصرية فى كل ما دخلها من فلسفات وثقافات .

وبهذا يصبح التاريخ المصرى متسلسلا ، وتصبح مصر شخصية حية فى وهم كل تلميذ ويحس انه اليوم ليس غريبا عن تحتمس ورمسيس ، ولا غريبا عن الأقوام الذين عاشوا فوق هذه الأرض الخالدة منذ أقدم عصور التاريخ .

وفى المكتبة العربية اليوم كتاب يؤدى إلى هذه الغاية أحسن أداء وهو كتاب المرحوم عبد القادر حمزه باشا " على هامش التاريخ المصرى القديم " .

وفى الجغرافية : يجب أن تدرس الرقعة المصرية والبيئة المصرية بتوسع : طبيعتها وجوها وحيوانها ونباتها وتربتها وكل شىء فيها ، وأن يربط بينها وبين التاريخ القديم والحديث وأن يزور التلاميذ أكثر مايمكن من الأماكن والجهات التى يرد ذكرها فى أثناء الدراسة. وينبغى أن تكون الرحلات والسياحات جزءا أساسيا من البرنامج . ويجب أن يكون للايحاء قيمته فى أثناء دراسة الرقعة المصرية وما يتصل بها من الشرق والغرب مما أثر فيها وتأثر بها من البلاد ، وأن ينصب هذا الإيحاء على تمجيد تلك الرقعة وذكرها فى شىء من التقديس والتبجيل كأنها بلاد مقدسة فى القلب واللسان . ويجب ألا يوجد ذلك الفاصل بين دروس التاريخ ودروس الجغرافية ، وأن يختلطا فى جميع المراحل بقدر الإمكان .

وفى اللغة والأدب : يجب أن تعطى الفرصة كاملة فى مرحلة التعليم الابتدائى للغة القومية — وبهذا " يشير " مؤلف " مستقبل الثقافة " وهو اليوم " مستشار " الوزارة .

ولعل من الحق أن نقول : إن عقبة ستعترض المستشار الفنى فى الطريق. هذه العقبة هى أن قصر المرحلة الابتدائية على اللغة القومية ، سيوفر عدداً من مدرسى اللغة الانجليزية فى هذه المدارس ، وهذه عقبة تعد فى وزارة المعارف كأداء لاسبيل إلى اجتيازها ؛ وسيدافع عنها كثيرون لاعلى هذه الصورة ولكن بمعاذير أخرى ، فلعل الله أن يوفقه إلى استخدام هؤلاء المدرسين الذين سيزيدون على الحاجة فى مواد البرنامج الأخرى ، فتحل هذه المشكلة ، ويفسح للغة القومية من الوقت والجهد مايوصلها فى ثقافة التلاميذ .

أما الدراسات الأدبية فيجب أن تعنى بالأدب المصرى قديمه وحديثه ، وأن تبرز فيه الخصائص المصرية التى خلعتها البيئة المصرية والروح المصرية على اللغة العربية وآدابها . ويجب أن يشعر الطالب أن بلاده لا تكتفى بتلقى الآداب والثقافات والفلسفات ، إنما هى تمصرها ، وتخلع عليها ثوبها ، وتؤثر فى كيانها واتجاهها ، وأن يبرز ذلك كله بروزا كافيا .

وفى الحساب : يجب أن تصاغ رءوس المسائل على المبادلات المصرية الحقيقية ، وأن تكون ذات قيمة عملية فى تعريف التلاميذ طرق الحساب التطبيقية فى السوق المصرية ؛ وأن تبعد عن الفروض المستحيلة كمسائل الأحواض والحنفيات والبالوعات : الحنفيات التى تصب فى الأحواض بمعدل كذا فى الساعة والبالوعات التى تفرغ هذه الأحواض بمعدل كذا فى الساعة فإذا فتحت الحنفيات والبالوعات فبعد كم تمتلئ . . . الخ !

وفى التربية الوطنية والاجتماعية : يجب أن يعلم التلاميذ هذا الذى يقوله الدكتور طه حسين بك من أن الطفل المصرى والفتى المصرى يجب أن " يحب مواطنيه و يؤثرهم بالخير و يضحى بنفسه فى سبيل حمايتهم من الشر ، وحياطتهم من الظلم ؛ ويشعر بأن عليه واجبات قبل أن تكون له حقوق " .

ولن يعلم الطالب المصرى شيئا من هذا وهو يدرس تلك النصوص الجافة الجامدة باسم التربية الوطنية ، وهو لا يدرس شيئا أصلا عن الشعب المصرى والمجتمع المصرى ، وهو لا يعرف شيئا عن طبقات هـذا المجتمع وتوزيع الثروة فيه وآلامه وآماله ، وعلاقة الفرد بالمجموع ، ووسائل الخدمة الاجتماعية ... الى آخر هذه المعلومات التى تشعره أن خلف جدران المدرسة مجتمعا ، والتى تثير فى نفسه حب هذا المجتمع والعطف عليه والتجاوب معه والعمل لخيره ، والتطوع لخدمته .

ثم يجب أن يخلع على كل ما هو مصرى ثوب الإعزاز والإكبار ، وأن يحرم كل ما يخدش الشعور الوطنى أو يوحى بأن هذا الوطن أقل من الأوطان الأخرى فى شىء ما من خصائص الحياة ، وأن يراعى ذلك فى كل ما يقرؤه التلاميذ أو يشاهدونه فى المسرح والسينما أو يسمعونه فى الإذاعة بكل وسائلها .

* * *

هذه أمثلة من وسائل تربية الشعور القومى ، وتوجيه التعليم هذه الوجهة ، وهى أمثلة مجملة قصدنا منها الاشارة السريعة لا رسم خطة مفصلة . وكان حديثنا حتى الآن مقصورا على مراحل التعليم غير العالى أما الدراسات الجامعية والعالية ، فوسائلها الى هذه الغاية أكثر عددا وأوسع مدى . ومتى تم وضع الأساس فى المراحل الأولى ، سهلت إقامة البناء فى المراحل الأخيرة .

وفى اعتقادنا أن التعليم فى المدارس سيبقى بلا هدف ولا ثمرة ، حتى ترسم سياسة إنشائية متحررة من أثقال الماضى ، ثائرة على "لوتين" الديوانى والاجراءات الحكومية .

وفى وجود القائمين على شئون التعليم الآن ما يكفل الثورة والتحرر ، وما يضمن هذا الاتجاه الجديد ، وهو ألزم من النظر فى أشياء أخرى كثيرة تشغلهم عن هذا العمل القومى الباقى للأجيال .

سيد قطب

إنقاذ الطفولة المشردة

منهج البحث وطريقة التنفيذ

هنا فى هذه المجلة ، وفى غيرها من الصحف والمجلات ، وفى داخل البرلمان وخارجه ارتفعت صيحات مختلفة النغمات عن الطفولة المشردة ، وويلات الطفولة المشردة ؛ وبلغ بعض هذه الصيحات مبلغ الولولة والعويل على ماتخسره الأمة من الثروة الكامنة فى هذه الطفولة ، وما تجره خسارتها من عواقب خلقية واجتماعية تضاعف من الخسارة الاقتصادية وتزيد من فداحتها .

وكل هذا صحيح ، وتلك الصيحات كانت واجبة فى حينها لتلفت الأنظار إلى عمق الهاوية التى تسير إليها البلاد ، ولتستحث الهمم الراكدة حتى تنهض بالعلاج ، وبالوقاية قبل العلاج ؛ ولقد أثمرت بعض الثمرات ، فقامت بعض الهيئات تخصص جهودها وموارداها المحدودة لمكافحة هذه الآفة ، وفى مقدمة هذه الهيئات : جماعة الرواد ، ورابطة الإصلاح الاجتماعى ، وجمعية الدراسات الاجتماعية . ولها جميعا فى هذا الاتجاه مجهود مشكور غير منكور .

ولكن المشكلة أعوص من أن تحلها هذه الجهود المحدودة ، وتلك الموارد الضئيلة . هذا من جهة . ومن جهة أخرى أن المشكلة أعمق من أن يؤثر فيها العلاج وحده دون الوقاية . ووجهة ثالثة هى أنها تسير اليوم بلا قواعد مدروسة ولا منهج مرسوم .

وهذه الوجهة هى موضوع بحثنا فى هذا المقال . وسنعالجها فى الفقرات التالية باختصار :

* * *

أولا : أن ميزانية الدولة لا تستطيع وحدها النهوض بمهمة إنقاذ الطفولة المشردة ، التى نراها فى ذلك المظهر المزرى الذى شبعت الأقلام تصويرا له وغمست ألوف المرات فى المداد الأسود القاتم لترسم له صورة لاتبلغ من الواقع شيئا ، إذ الواقع الحى أشد قتاما من الصورة المرسومة .

وعلى فرض أن الميزانية تستطيع أن تنهض بهذه المهمة ، فهى مهمة غير واضحة ولا محدودة ، ولم تقوم بالأرقام حتى تعرف الدولة وتعرف الأمة ما هو مطلوب منها من الجهد والمال . فليست لدينا إحصائية مضبوطة أو تقريبية عن عدد الأطفال المشردين ؛ لم تقم الدولة بعمل هذه الإحصائية البسيطة ولم تقم بها هيئة من الهيئات التى تعمل فى هذا الميدان .

وثانيا : أن أسباب التشريد لم تبحث بحثا علميا دقيقا . ولا سبيل إلى بحثها قبل عمل الإحصائية التى أشرنا إليها فى الفقرة السابقة . وبدون معرفة أسباب التشريد لا تستطيع

الدولة ولا تستطيع الهيئات أن تعالج الطفولة المشردة ، ولا أن تحدد حتى وسائل العلاج ؛ فالتشخيص أولا والدواء ثانيا ، هذه قاعدة كل علاج علمى سليم فى جميع الأمراض . والتشريد مرض من أشنع الامراض .

وثالثا : أن العلاج وحده لا يفيد ، فما هو إلا نوع من تطهير المصب وترك المنبع يقذف كل يوم بجديد . وقبل أن تعرف الدولة وتعرف الأمة أسباب التشريد لا تستطيعان أن تتخذا شيئا من وسائل الوقاية ومن تطهير المنبع حتى لا يقذف كل يوم بجديد .

ورابعا : أن الأمة لا تنهض بواجبها من التبرعات بالمال و بالجهد إلا حين تصور لها المشكلة تصويرا دقيقا ، ويجسم لها الخطر بالأرقام والاحصائيات ؛ و يرسم لها برنامج العلاج ووسائله ، و يقال لها إن ذلك البرنامج وهذه الوسائل تكلف كذا من المال وكذا من الجهود ، وكذا من القوانين والتشريعات ، وكذا من السنين للوصول إلى الهدف المقصود .

وأمامنا مثل على هذا الذى نقول فى مشروع تحسين الصحة القروية ، فقد ظل تحسين القرية أمنية من أمانى الأفراد والحكومات ، وغرضا غامضا نريده ولا نهتدى إلى طريقه ، حتى استطاع وزير جاد أن يضع مشروعا محدد الغايات واضح الأهداف ، و يطلب له قدرا معينا من المال ، فأجيب فى الحال إلى طلبه من الهيئة التنفيذية والهيئة التشريعية ، وأقبلت الأمة بدورها على المشروع تتبرع له بألوف الجنيهات .

ونحب هنا أن ننبه إلى أن دراسة هذه المشكلة على النحو الذى نشير به ليست سهلة التنفيذ كما تبدو على الورق فهى عميقة الجذور متشعبة المسالك ، متصلة فى الصميم بجميع المشاكل الاجتماعية الأخرى . ودراستها على هذا النحو ستكلف كثيرا من الجهد والمال ، وستمتد إلى دراسة مشكلات أخرى لاتخطر لأول وهله على البال . أما علاجها فسيكلف مجهودا أكثر ، فإذا امتد بنا الخيال إلى الوقاية قبل العلاج ، فذلك طريق متشعب المسالك مملوء بالأشواك . وإن كان هذا كله لاينفى أن الحل الصحيح للمشكلة هو هذا النحو من الدراسة العلمية المنظمة .

* * *

والان حسبنا أن نشير إلى بعض الأسباب الظاهرة لمشكلة التشريد (مع اعتقادنا أن الفحص الكامل قد يضيف اليها أو ينقص منها) لندرك عظم المشقة فى رسم هذا البرنامج .

فى مقدمة هذه الأسباب : الفقر : وللفقر أسبابه المتشابكة من الجهل والمرض وسوء توزيع الثروة ، وضعف الروح الاجتماعية ، وفقدان التعادل بين الجهد والجزاء ، وقلة الضمانات الاجتماعية وضيق الموارد العامة ... إلى آخر هذه الأسباب .

ومنها المرض أو الشذوذ ، وكلاهما يؤدى إلى فقدان العائل أو سوء سلوكه أو توريثه أطفاله شذوذا خاصا ، وكلها وسائل مؤدية إلى التشريد من قريب أو من بعيد .

ومنها المخدرات والخمور ، ويمكن إضافتها إلى المرض أو الشذوذ ، وكثيرا ما يكون إدمانها ناشئا عنهما أو مؤديا اليهما . فالادمان والمرض والشذوذ مسالك تؤدى إلى غاية واحدة فى مشكلة الطفولة .

ومنها العجز عن العمل وعن كفالة الأطفال أو موت العائل . ويمكن إضافتهما إلى قائمة المرض على حد سواء فى النتيجة .

ومنها الشقاق بين الزوجين وتحطم الأسرة لسبب من الأسباب التى لاتحصى وفى مقدمتها الجهل بفن الحياة الزوجية وسهولة الطلاق ، وفقدان الضمانات للأطفال فى حالة تحطم الأسرة .

ومنها فساد المسكن وضيقه وفقره مما يجتذب الطفل الى الشارع فيقوده هذا إلى الشرود ويلقيه فى أحضان العصابات التى تتلقف الأطفال وتدربهم على حياة الإجرام .

ومنها تشغيل الأحداث فى سن مبكرة على الرغم من القوانين الموضوعة لهذا الغرض ، أو سوء معاملة "الأسطوات" لهم ، وأثر هذا وذلك كأثر فساد المسكن فى هروب الطفل وإيثاره حياة الشرود على حياة العمل المرهق المضاد لغرائزه وميوله . .

ومنها وجود عصابات وظيفتها إغراء الأطفال وتدريبهم على الجرائم بوسائل شيطانية لايستطيع هؤلاء الصغار معرفة نتائجها فى أول الأمر ولا يستطيعون الخلاص منها فى النهاية .

ومنها ضيق الاصلاحيات عمن ترسل بهم اليها محاكم الأحداث . وهذا الضيق يساعد مشكلة التشريد عن طريقين أولهما : ترك عدد من الأطفال المحكوم عليهم خارج الاصلاحيات أو سجنهم فى بعض الأحيان مع الرجال مما يؤدى إلى إفسادهم نهائيا . وثانيهما : حشر طوائف الأحداث المختلفى المشارب فى دار واحدة فيأخذ بعضهم من بعض ويزدادون استعدادا بجرائم جديدة لم تتهيأ لهم معرفتها فى الخارج فيعرفها بعضهم من بعض فى داخل الإصلاحية نفسها !

وليست هذه الأسباب التى ذكرناها إلا "عينة" من الأسباب الكثيرة الأخرى ، وهى "عينة" تعتمد على الحدس وعلى الظواهر طالما أن ليست لدينا احصائيات مفصلة عن المشردين وعن أسباب التشريد الحقيقية وظروف كل حالة .

نعم لدينا بعض الاحصائيات عن أطفال الاصلاحيات وعن الأطفال الذين تعنى بهم بعض الهيئات ولكنها لاتؤدى إلى الغاية المطلوبة . وإن كانت تكفى للاشارة إلى تشعب المشكلة . غير أن الاحصائية الكبرى لازمة لمن يريد وضع مشروعات مؤسسة ودائمة لعلاج المشكلة من أساسها .

نخلص من هذا إلى رسم المنهاج الواجب لدراسة مرض التشرد ، هذا المنهاج الذى يستطيع أن ندعو الأمة على أساسه للتبرع ، وأن ندعو الحكومة لرصد المال المعين ، وأن ندعو الهيئة التشريعية لاعتماد هذا المال ولإصدار التشريعات الأخرى المساعدة على الوقاية أو العلاج .

وهذا المنهاج الضخم يجب أن يسلك الخطوات الآتية :

أولا — القيام باحصائية شاملة لعدد الأطفال المشردين فى جميع بلاد المملكة المصرية، وأعمارهم، وأسباب شرود كل منهم، ووسائل معيشتهم الحاضرة. وتتضمن هذه الاحصائية كذلك عدد المرضى منهم بأمراض معدية أو وراثيـة . ومن له منهم أهل ومن ليس له ، ومن يستطاع ردهم إلى أهليهم ومن يجب إسقاط ولاية هؤلاء الأهل عنهم لسوء سلوكهم أو عجزهم عن تربيتهم . . الخ .

ثانيا — اقتراح وسائل معينة لعلاج كل طائفة من هذه الطوائف ، وضمان تربيتها ، وردها إلى المجتمع سليمة، وكفالة العمل لها بحيث تغدو خلايا صالحة فى جسم المجتمع لا دمامل وبثورا شائهة. وبحيث تضمن هذه الوسائل تتبع الطفل المشرد حتى يصير قادرا على الكسب فى معترك الحياة ، لا كما تصنع إصلاحيات الأحداث الآن إذ تلقى بهم إلى الطريق فتيانا وفتيات فى سن الفتنة والطيش ، عرضة لجميع المؤثرات .

ثالثا — وضع ميزانية دقيقة لتكاليف الوسائل المقترحة ، وتوزيعها على عشر سنوات أو عشرين حسبما تبلغ من الجسامة ، وحسبما تطيقه موارد الدولة وقـدرة الأمة على التبرع فى حدود معقولة .

رابعا — اقتراح وسائل الوقاية (التى تتضح من دراسـة أسباب التشريد) سواء كانت هذه الوسائل تشريعية أو اقتصادية أو صحية أو إرشادية .

ونعتقد أن هذه الخطوات كفيلة — مع صعوبتها الفائقة — بحل هذه المشكلة، ونبنى اعتقادنا على أسباب منها ما تقدم من أن الأمة بل الدولة لم يتكشف لهـا بالضبط هول الكارثة الكامنة وراء الطفولة المشردة ، ولا تدرك كذلك فداحة الخسارة اليومية والسنوية التى تصيب ميزانيتها ورصيدها الخلقى والقومى والاقتصادى من جراء هـــذا المرض . فاذا صورت لها هذه الخسارة فى أرقام واضحة صح إدراكها لها وثارت حماستها لعلاجها .

ومنها أن الأمـة بل الدولة لم تتقص بالضبط أسباب التشريد ، وكل ما لديها عنها تخمينات وتقديرات ، وقد تبدو لهـا المشكلة مستحيلة الحل لأنها لم تلم بحقيقة أسبابها . فاذا صورت لها هذه الأسباب على حقيقتها فى دراسات مبوّبة ، سهل عليها أن تقدرها ، وأن ترصد لها من وسائل العلاج ما يقاومها .

ومنها أن الأمـة بل الدولة لم تعرف قطعا كم يطلب إليها من المـال ومن الجهد ومن التشريع لعلاج هذه المشكلة ، وكل ما تصنعه فى هـذا السبيل محاولات تجريبية قد تخطئ وقـد تصيب ، ولكنها على أية حال لا تشعرها بحقيقة ما هو مطلوب منها . فاذا وضعت

أمامها الاحصائيات والأرقام ، وإذا عرفت الوسائل العملية وما تحتاج اليه من تكاليف، فانها ستقبل على النهوض بما يطلب إليها من ذلك كله ، وهى واثقة من نتيجة ما تصنع متطلعة إلى هدف واضح وقصد مرسوم .

ذلك خير من أن نطاب إلى الأمة تبرعات لمشروعات عائمة تحت عنوانات مبهمة. فهى لن تستجيب لنا — إلا قليلا — حين نقول لها : تبرعى لإنقاذ الطفولة المشردة . ولكنها ستستجيب بحماسة وبصيرة حين نقول لها : فيك أيتها الأمة كذا من الأطفال المشردين ، تخسرين بسببهم فى العام كذا من الجنيهات ، وكذا من الثروة الخلقية والصحية والاجتماعية وأسباب تشريدهم هى كذا وكذا ، ووسائل علاجهم هى كيت وكيت ، وتكاليف هذه الوسائل هى كذا من النقود ، وكذا من التشريعات ، وكذا من الجهود .

وإننا لنستطيع فى هذه الحالة وعلى هذه الأسس الواضحة أن نطاب الى البرلمان تخصيص جزء معين من الميزانية فيستجيب لنا كما استجاب لمشروع تحسين الصحة القروية، ونستطيع أن نطلب اليه إقرار ضرائب خاصة لهذا الغرض فيخجل كل معارض فى فرضها من المعارضة، ونستطيع أن نطلب اليه سن تشريعات تتناول حياة الأسرة مثلا أو حياة العمال أو ضمانات للطبقات المحتاجة ، فلا نجد معارضة داخل البرلمان أو خارجه فى سن هذه التشريعات لوضوح الغرض منها وظهور أهميتها بالدراسة والاحصاء . وإننا لنستطيع أن نجعل الجهد — بعد المال — ضريبة على القادرين عليها من موظفى الدولة أو سواهم، فلا نجد ممانعة ولا اعتراضا بعد نشر هذه الاحصاءات واقتناع الناس بضرورة المساهمة فى مشروع قومى عظيم.

* * *

هذه هى الطريق الواضحة الموصلة الى الغاية ، وهى طريق طويلة وشاقة وبطيئة النتائج ، ولكن سلوكها ضرورى ومنتج ومضمون العاقبة .

ونحن حين ننصح بسلوكها ، وحين نقول : إن المجهودات الحالية لا تؤدى الى الغرض الكامل ، لا ننصح بأن تقف الهيئات الحاضرة جهودها ، فيجب أن تسير هذه فى طريقها حتى تتم الدولة أو الهيئة المختارة دراستها وبحوثها ، واقتراح وسائلها ووضع ميزانيتها . وعندئذ يمكن أن تضم هذه الهيئات بعضها الى بعض ، وان تكون وحدات من الجيش الذى يجرد للميدان كله ، وهو مستكمل العدة واضح الخطة مرسوم المنهاج .

فاذا استطعنا أن نتناول كل مشكلة من مشاكلنا بمثل هذا الأسلوب ، معتمدين على الاحصاء والتجربة والدراسة ، استطعنا أن نرسم لنا سياسة ثابتة للاصلاح الاجتماعى الشامل نضمن لها التنفيذ فى جميع العهود ، ونطمئن عليها فى التقلبات والمفاجآت ، التى طالما قضت على الكثير من صالح المشروعات .

المبادى الأولية
فى مكافحة الغلاء

إحصاء الموجود، وتحديد الاستهلاك، وخفض القدرة على الشراء

لا تزال السلطات تكافح موجات الغلاء المتتابعة، ولا تزال بعض هذه الموجات تطغى على جهود السلطات .

قيل : إن الأحكام غير رادعة فرفعت درجة العقوبة؛ وقيل : إن الاجراءات التأديبية بطيئة فقصر أجل الاجراءات؛ وقيل : إن عدد موظفى التموين قليل فزيد عدد الموظفين... ولكن تيار الغلاء مضى فى طريقه يغرق المستهلكين .

وأصبح إدخال السلعة فى التعريفة الجبرية نذيرا باختفاء هذه السلعة من السوق . حتى إذا حذفت منها عادت الى الظهور . جرى هذا فى الزيت ، وفى الأرز ، وفى بعض أصناف اللحوم ، فكان معناه الصريح أن بعض التجار يشنون الحرب علنا على السلطات وعلى الجماهير ؛ ويحاربون الجميع بغير خوف ولا مبالاة .

وقد كان الرقم القياسى لأسعار الجملة فى مصر فى نهاية أبريل سنة ١٩٤٠ هو ١٢٦ فوصل فى نهاية شهر يونيه سنة ١٩٤٢ الى ٢٠٩,٥ والى ٢١٥,٤ فى آخر يوليه الماضى والى ٢٤٢,٤ فى سبتمبر ثم ارتفع فى ٢ أكتوبر الى ٢٤٢,٩

وكان الرقم القياسى لأسعار الجملة فى لندن ١٨٥,١ فى العام الماضى فوصل الى ١٩٠,٣ فى آخر يوليه من هذا العام وفى ٢٥ أكتوبر وصل الى ١٩١,٥ فقط، وسيظل ثابتا على الأقل بضعة أسابيع بالقياس الى ما حدث فى الماضى .

وقد قلنا فى عدد سابق من هذه المجلة ونحن نستعرض حالة كهذه : إنه " ليس من المفهوم أن تكون أرقام لندن التى تعيش من الخارج ، والتى تفرض عليها الحرب قيودا لا تفرضها على القاهرة منذ ثلاثة أعوام ، أقل من أرقام القاهرة . إلا أن يكون فى الأمر شىء شاذ لا يجوز بقاؤه ولا يغتفر وجوده " .

وهذا الشيء الشاذ هو الذى نحاول علاجه فى كلمة اليوم .

توجد تسعيرة جبرية ، وتوجد عقوبة لمخالفى هذه التسعيرة ، ويوجد موظفون لضبط هؤلاء المخالفين ، وتوجد عقوبة على إخفاء السلع ومنعها من المستهلكين...وكل هذا جميل.

ولكن هناك منفذا يهرب منه تجار السوق السوداء ، ويستطيعون منه أن يتحكموا فى السوق، وأن يفلتوا من الرقابة ،وأن يعبثوا بالقانون . هذا المنفذ هو عدم ضبط الموجود من السلع فى السوق ! .

من الذى يستطيع أن يقول لهذا التاجر أو ذاك : إنك تخفى بضاعة، وتمنعها من المستهلكين؟ إن كل ما يستطيعه البوليس ورجال التموين هو التحرى ،الذى قد ينجح مرة ويخفق مرات، طالما أن ليست هناك وسائل مضبوطة لحصر الموجود من السلع فى السوق .

وهذا هو الشيء الشاذ الذى فطنت له انجلترا من أول الأمر، مع أن حاجتها اليه لم تكن مثل حاجتنا ، فهناك تربية اجتماعية راقية ،وهناك تضامن اجتماعى عام، قد يعصمهم من خراب الذمم ومن الاستغلال الدنىء . بينما التربية الاجتماعية هنا معدومة ، والتضامن الاجتماعى مفقود ... وهناك ما هو أهم ، فالتجار هناك والمستهلكون جميعا انجليز متضامنون فى الخير والشر، بينما التجار فى مصر من كل جنس وملة، وممن لا هم لهم إلا استغلال المصريين !.

فطنت انجلترا لهذه الثغرة فقامت بإحصاء دقيق لمعظم الموجودات فى الأسواق من الأصناف الضرورية وحصرت هذه الموجودات، وحتمت على المتاجر وعلى محال الانتاج إمساك دفاتر منظمة بكل ما يجد بعد تاريخ هذا الجرد وكل ما يستهلك أو يباع بالتجزئة .

وبهذا قطعت على التجار طريق التهريب والتخزين و إخفاء الموجود بقصد التحكم فى السوق . وأصبح كل تاجر محاسبا على ما كان عنده وما جدّ من مشتريات وما باع من موجودات، وعرضة للعقاب إذا ظهر فى المراجعة نقص أو تلاعب .

و بعد عملية الجرد لا قبلها سنت التسعيرة الجبرية ، ووضعت الأسعار المناسبة للدفعات المتتالية من كل صنف ،فأصبح للصنف الواحد فى البضاعة عدة أسعار بحسب تاريخ وروده للمحلات التجارية ،وأصبح المستهلك يدخل لمحل التجارى فيجد بطاقة على ثوب من القماش مثلا ثمن المتر منه عشرة قروش ، فإذا انتهى هذا الثوب واحتاج الى تكملة من ثوب آخر ورد متأخرا اشترى المتر منه باثنى عشر قرشا . والبائع لايحاول أن يبيعه المقدار الأول بسعر المقدار الثانى ، لأن دفاتره ستفضحه إذا ارتكب هذه الجريمة ، أو لأن له ضميرا لم يتعفن كضمائر تجار السوق السوداء فى وادى النيل !

وكان لا بد من ضبط الموجود، حتى تمكن محاسبة التجار محاسبة دقيقة، فكانت الخطوة الثانية فى نظام التموين الانجليزى ، وهى التوزيع بالبطاقات لكثير من أنواع الاستهلاك . والواقع أن هذا الإجراء جزء مكمل للإحصاء الأول ، وإلا تعذر ضبط الأمور فى التموين .

وعلاوة على أنه جزء مكمل للإحصاء ، فقد كان لازما لتحديد الاستهلاك ومنع التحزين حتى لا يترك الأمر للقدرة على الشراء وحدها وهى تتفاوت بالنسبة للطبقات وللأفراد ، والمغبون فى هذا التفاوت هى الطبقات العاملة التى تمهض بعبء الإنتاج .

وزيادة فى تقريب الفوارق بين الطبقات فى الاستهلاك حددت الكميات بثمنها لا بنوعها ، فمثلا أعطى الحق للفرد فى أن يشترى من الكسوة ما ثمنه كذا ، وأن يشترى من اللحوم ما ثمنه كذا ، حتى لا يستطيع الأغنياء شراء الأنواع الأجود لو قيل كذا مترا من القماش وكذا أقة من اللحم ، وبذلك يستأثرون بالطيبات لأنهم أغنياء !

ثم كانت الخطوة الثالثة وهى تحديد النقود كما حددت السلع ، لأن كثرة النقود وارتفاع المقدرة على الشراء ، قد تطغى على قيود الاستهلاك على الرغم من دقتها ، وبذلك ترتفع الأسعار نتيجة عدم التوازن بين كثرة النقود وقلة السلع . ففرضت الضرائب الاضافية العالية على الأرباح فى حدود معينة ولما رئى أن هذه الضرائب العالية التى بلغت ٩٥٪ فى بعض الحالات لم تكف لتحديد الأرباح ، فرض حد أعلى للدخل هو ٤٢٠٠ جنيه فى العام وما زاد على ذلك فإلى خزانة الدولة ، منعا للتضخم ، وللإثراء الفاحش على حساب الظروف الاستثنائية .

وبهذا وذاك وذلك قضوا نهائيا على الغلاء المصطنع ، وضبطوا حركة التموين ، وخطوا خطوات واسعة فى التهيؤ للعالم الانسانى الجديد .

* * *

والآن فلنلق نظرة على مصر . فنجدها قد بذلت كل جهد فى مكافحة الغلاء فلم تنجح كما ينبغى ونسأل عن السر فنراه واضحا فى إهمالها الأخذ بهذه الخطوات .

فإذا صحت النية على مكافحة الغلاء الذى يشكو منه الجميع ، فهناك المبادئ الأولية فى مكافحة الغلاء ، وهى التى عنونا بها هذا المقال : إحصاء الموجود، وتحديد الاستهلاك، وخفض القدرة على الشراء . ولنقل كلمة قصيرة عن كل من هذه الاجراءات :

إحصاء الموجود : كان يجب أن نبدأ بهذا الإحصاء منذ أن قامت الحرب ، وكان هذا الإجراء — لو تم — يوفر علينا كثيرا من المتاعب التى عانيناها ونعانيها الآن . ولكن ما فات مات ، وعلينا أن نتدارك الآن ما فاتنا من قبل بلا إبطاء .

ونحن واثقون من أن التجار فى مصر لن يذعنوا لهذا الإجراء ، ولن يسهلوا مهمة السلطات بل سيبذلون كل ما فى طوقهم للتهرب ولإخفاء ما يستطيعون إخفاءه . كما أننا نقدر عدم إمكان الدقة من ناحية أخرى وهى فوضى طرق التجارة فى مصر وعدم وجود دفاتر منظمة لدى الجميع يمكن ضبط الحسابات منها ومعرفة الموجود والمنصرف فى تواريخ ثابتة ، وكذلك عدم ضبط مقادير الانتاج المحلية من جميع الأصناف ، وأنه اذا أمكن ضبط الواردات عن طريق الجمارك فضبط الانتاج المحلى عسير إلا فى بعض المصانع الكبيرة ... الخ .

ولكن هذا كله لا يجوز أن يقعدنا عن القيام بإجراء ضرورى لا يمكن ضبط حركة التموين بدونه مهما بذلنا من الجهود .

والذى نقترحه أن تجند الدولة جميع موظفيها الحسابيين والإداريين فوق موظفى الإحصاء بإشراف مصلحة الاحصاء فترة من الزمن لإحصاء الموجودات فى جميع أنحاء البلاد . ولا ضرر من تعطيل مصالح الدولة الأخرى فترة من الزمان ، نفرض أنها عطلة أحد الأعياد أو العطلات الكثيرة التى تتخلل العام . فكل عمل من أعمال الدولة اليوم لا يبلغ فى أهميته وضرورته مبلغ التموين ، فى الحاضر القريب والمستقبل البعيد .

وعلى هؤلاء الموظفين — وهم يعتون بالألوف — أن يجردوا مخازن التجار والمصانع الكبيرة والصغيرة ودور الانتاج على اختلافها ؛ وأن يرصدوا جميع أصناف الموجودات فى دفاتر خاصة ، وأن يكلفوا التجار الاقرار بما فى هذه الدفاتر ، وموالاة رصد ما يجد من كل صنف وما يستهلك كذلك مع حفظ الوثائق التى تثبت الاستهلاك .

واذا عز أو ثقل رصد جميع الموجودات فيمكن أن يتبع هذا النظام بالنسبة للمواد الضرورية التى يؤثر ارتفاع أسعارها فى حالة جميع السكان ؛ واذا لم تكن الدقة ممكنة ، فمن المستطاع عمل إحصاءات تقريبية تفيد على كل حال .

وفى اعتقادنا أن لهذا الإحصاء مزية أخرى — فوق مكافحة الغلاء — وهى معرفة حالة التموين بالضبط أو بالتقريب ، فمتى عرفت كمية الموجود وحسبت كمية الاستهلاك كانت الدولة على بصيرة من الأمر واستطاعت أن تتلافى النقص بالاستيراد فى الوقت المناسب ، وأن تعالج الزيادة بالتصدير فى الوقت المناسب كذلك . وفى هذا ما فيه من اتقاء المخاطر فى حينها ، وانتهاز فرصة التصريف فى إبانها .

ونعتقد أن كل جهودنا ستذهب هباء قبل أن تتخذ هذا الاجراء الأولى . وهذا وحده كفيل بأن نقدم عليه مهما كلفنا من الجهود ومن الوقت ، فهو أشبه بالعملية الجراحية الناجعة ، وإجراءاتنا الحالية أشبه بالمخدرات والمسكنات ، قد تبدو أقل كلفة ولكنها فى مجموعها أكبر نفقة وأقل فائدة .

تحديد الاستهلاك : غير أن الاجراء المتقدم يغدو عديم الجدوى إذا لم يتبعه الإجراء المكمل له وهو تحديد الاستهلاك . والمشاهد الآن أن هناك فئة قليلة من القادرين لا يهمهم الغلاء ، لكثرة النقود فى أيديهم ، فهم يحصلون على جميع ضرورياتهم بنسب مرتفعة ، ثم لايكتفون بسد حاجتهم الموقوتة بل يزيدون عليها التخزين بحجة الاحتياط للمستقبل . وهذه الفئة المحدودة هى التى تشجع التجار على المغالاة فى الأسعار لأنهم يجدون شاريا مهما ارتفع السعر .

وبجانب هذه الفئة القليلة ملايين كثيرة محدودة الموارد ، تعجز عن الشراء لضيق مواردها ، ثم هى لاتجد من السلع فى السوق مايسد حاجتها — على فرض مقدرتها على الشراء — لأن الفئة القليلة القادرة قد استنفدت معظم الموجود فى السلع فى الاستهلاك الحاضر والتخزين للمستقبل .

ولا علاج لهذه الحالة إلا بفرض التوزيع بالبطاقات على جميع الضروريات ، وبذلك لايستطيع كل فرد أن يحصل على غير الكمية المقررة له . وإذا سلك وسائل أخرى — كما يقع الآن — لزيادة مايشتريه ، فإنها تكون حالات استثنائية تمكن محاربتها بوسائل من نوعها !

إلا أن نظام البطاقات — فيما يبدو — لم يستقر بعد بدليل تضارب الاجراءات فيما يختص بتوزيع السكر ، والأخذ بنظام ثم العدول عنه لعدم استكمال الاجراءات ، ولكن هذه عيوب موقوتة مصيرها للزوال والنظام الحال ، فالأخذ بنظام البطاقات فى جميع الضروريات ممكن ، وليس من مستحيلات هذا الزمان !

ومتى تم الأخذ بهذا النظام أمكن ضبط المستهلك كما ضبط الموجود من السلع ، وبذلك يصبح إخفاء السلع من السوق متعذرا أو صعبا ، فينتزع من أيدى التجار السلاح الذى يشهرونه فى وجه التسعيرة ووجه السلطات ووجه المستهلكين . ويوجه الجهد الذى يبذل الآن للتحرى عن أمكنة البضائع المختزنة والمهربة ، إلى البحث فى ضبط حسابات الصادر والوارد الى المتاجر ولا سيما متاجر الجملة ومحال الإنتاج وهى العامل الأول فى رفع الأسعار .

وإنه لسلاح خطر تضيع الجهود عبثا فى مقاومته ويتحكم به التجار فى الأسعار تحكما لا يجوز أن تصبر عليه حكومة ، فهو الفوضى والمروق والخروج على القانون بلا مبالاة .

وعندئذ تصبح فواتير البيع هى مستندات تجار الجملة ، وكوبونات التوزيع هى مستندات تجار التجزئة ، على مثال ماتصنع وزارة الصحة مع مخازن الأدوية والصيدليات بالنسبة للمواد المخدرة والممنوعة الداخلة فى تركيب الأدوية .

خفض القدرة على الشراء : ولكن احصاء الموجود وتحديد الاستهلاك لن يضمنا العلاج الكامل ، لأن زيادة مقادير النقـــود المتداولة بسبب الظروف الاستثنائية ، عامل طبيعى من عوامل الغـلاء تصعب مقاومته إلا بعامل مثله .

فلابد إذن من خفض القدرة على الشراء بسحب النقود وخفض الايراد . وإنه لعجيب أن يكون أقصى دخل فى بلاد غنية كانجلترا هو ٤٢٠٠ جنيه فى العام ، بينما يوجد فى مصر الفقيرة من يبلغ دخله هـذا الرقم فى الشهر وربما فى الأسبوع ، ثم يوجد فى مصر من يشير بعدم زيادة الضرائب على الأرباح الاستثنائية ! !

وإذا جاز لرجل من الأثرياء المنتفعين بهذه الظروف أن يرفع صوته مناديا : " لا تحاربوا الغلاء " فإنه لا يجوز للدولة أن تستمع لمثل هذا الصوت المنبعث من الأنانية وحب الذات ، وهى مسئولة عن الملايين ، لا عن هذا المحظوظ وحده ولا عن أمثاله المحظوظين !

ولحسن الحظ أن ليس رأى هذا الثرى هو رأى جميع الأثرياء . فها هو ذا رجل اقتصادى كبير كدولة صدقى باشا يشير بتقليل النقد وبزيادة الضرائب على الأرباح الاستثنائية ، وهو رجل لا يطعن فيه بأنه ضد طبقة الأثرياء !

هـذه هى المبادئ الأولية لمكافحة الغلاء . وبعد الأخذ بها يجوز أن ننظر فى الوسائل الأخرى كوضع التسعيرة الجبرية ، وفرض العقوبات على مخالفيها ، وتعيين أكبر عدد من الموظفين لضبط هؤلاء المخالفين . وهو ما نحاوله الآن .

وهناك وسائل أخرى كثر الحديث عنها وتناولناها من قبل ، كتشجيع الاستيراد والتحكم فى الإنتاج لتوفير الأصناف الضرورية وتفضيلها على الكماليات ، والبحث عن وسائل جديدة للإنتاج . . الخ

ولكن هذا جميعه يجىء بعد الخطوات الأولى ، إذا أردنا الجد فى مكافحة الغلاء .

الألبـان وانتفاع الفلاح بها فى مزرعته

الدكتور محمد أمين السكرى

المدرس بكلية الزراعة

يدهش الكثيرون منا عندما يذكرون الدخل الضئيل الذى ينـاله الفلاح الصغير سواء من عمله فى حقل غيره أو كده فى زراعة مساحة ضيقة يملكها أو يستأجرها ، يدهشون لضآلة هذا الدخل لعلمهم بتعدد الأنفس التى تعيش عليه .

لكن هذه الدهشة تزول أو تتضاءل عندما نرى تلك المـاشية المباركة جاموسة كانت أم بقرة تشاطر هؤلاء القوم حياتهم الأولية البسيطة فتدر عليهم من بركات الرزق ما شاء الله لها أن تدر من خير يقيمون به أودهم ويستعينون به فى معيشتهم وأرزاقهم .

هذا الخير الذى تدره المـاشية هو ما نسميه نحن باللبن وينتفع الفلاح به فى وجوه كثيرة أهمها ما يأتى :

أولا — الشرب أو بيعه كسائل ثانيا — صناعة الزبد ثالثا — صناعة الجبن .

أما من حيث الغرض الأول وهو استعماله للشرب فبمجرد حلبه يحتفظ به فى أوان خاصة إذا كان للاستهلاك العـائلى فى حالة البيوتات الكبيرة أو تحمله الفلاحة فى مترددها إلى أقرب مدينة أو قرية لبيعه .

أما الغرض الثانى من إنتاج اللبن فهو صناعة الزبد ثم تحويلها إلى سمن وتعتبر هذه الصناعة أهم الوسائل جميعا للانتفاع باللبن فى ريفنا المصرى حيث تقاس كفاءة المـاشية فى الإنتاج بمقدرتها على إنتاج كمية معينة من السمن فى وقت محدد ، فتسمع الفلاح يقول عن ماشيته بأنها سمانة أى غزيرة الإنتاج للسمن وأولى خطوات صناعة الزبد هى المعروفة بالترقيد ، وذلك بأن يترك اللبن فيما حلب فيه من متارد وتوضع فى مكان هادئ حتى ترتفع القشدة التى تقشط من على السطح وتوضع فى أوان خشبية مفرطحة تسمى بالقصعة ، ثم تضرب باليد حتى تتكون الزبد وهذه تسيح بدورها إلى سمن . أو قد يلجأ فى صناعة الزبد إلى استعمال قربة من جلد المـاعز يخض فيها اللبن بعـد تخميره إلى حد ما . ويتخلف عن هـذه الصناعة ناتجان ثانويان هما اللبن الرائب والمخيض أى اللبن الخض . ويجتهـد الفـلاح بطرقه البسيطة أن ينتفع بها إلى أقصى حد يمكنه . فاللبن الرائب وهـو المتخلف فى المترد بعـد قشط القشدة يستعمل فى صناعة الجبن القريش فيصب هـذا فى حصير

يعلق حتى يصفى الشرش . ثم تملح وتكون حينئذ صالحة للاستهلاك أما اللبن الخض فينتفع به فى عمل المش المألوف عندنا جميعا ويجرى عليه قبل ذلك ما يسمونه عملية التعطيس وهى عملية التركيز البلدية وذلك بوضعه فى متارد جديدة حتى تتشرب هذه بنسبة كبيرة من مائيته فتمسك الطبقات السفلى بترسب بروتيناته التى يطلق عليها عرفيا اسم المواد الزلالية فتوضع المتارد بعد ذلك بما فيها فى أفران مدة نصف ساعة أو ساعة وتكون الجبنة قد عبئت أثناء ذلك فى " اللاص " فيوضع عليها المخيض المعطس بعد وضع الملح وغيره مما هو مستعمل فى هذه الحالات لكميرة المش وعرق الحلاوة الخ . . . وبهذه العملية أيضا يستغنى بسد مسام المتارد الجديدة قبل استعمالها حتى لا ترشح اللبن ويطلقون على هذه العملية لفظة توديك المتارد وقد يستعمله بعض العائلات الأخرى فى إطعامه للدواجن وخصوصا الدنادى حيث يلاحظون فائدته فى إنتاج لحم جيد ناصع لبياض كما قد يستعملونه فى عجن فطائر الذرة للرعاة بدلا من اللبن الحليب . و بتسييح الزبد الى سمن تنفصل المرتة وهى عبارة عن مواد اللبن الزلالية المترسبة مع ملاحة وملح الطعام ونسبة عالية من الدهن ، والمرتة هذه غذاء مركز ومغذى للغاية به نسبة كبيرة من الفوسفات كما أن مواده الزلالية سهلة الهضم و يأكلها الفلاح بشراهة مع الفول المدمس أو الفطير الدماسى أو قد يضيفها للمش .

والغرض الثالث من إنتاج اللبن هو صناعة الجبن وهذه الصناعة محدودة جدا بين فلاحينا لا يلجأ اليها إلا من يملكون عددا كبيرا من الماشية . أما السواد الأعظم من الفلاحين فصناعتهم للجبن قاصرة على صناعة الجبن القريش كما سبق أن ذكرت ، ويتخلف عن صناعة هذا الجبن أو ذاك السائل الناتج من التصفية وهو المعروف باسم الشرش و يستعمل الفلاحون هذا الشرش فى تخليل مخللاتهم بعد إضافة الملح اليه إن لم يكن به ملح .

هذه إلمامة موجزة جدا لطرق انتفاع فلاحينا بألبانهم فى المزرعة . واذا أمعنا النظر فيها وجدنا بها كثيرا من المعايب الممكن إصلاحها حتى يمكن تحقيق غاية هذا الانتفاع الى أقصى حد ممكن مع تلافينا للأخطار التى قد تنجم عن اللبن ومنتجاته إذا انتخبت بدون احتراس وتدقيق ، وسأقصر حديثى إيجاز أيضا على تلك المعايب وعلاجها الميسور إذ لا فائدة فى التحدث عن أقصى ما وصل اليه العلم ما دام فلاحنا ضيق ذات اليد محدود الوسائل .

وأولى خطوات الإنتاج هى الحليب وهذه كغيرها من عمليات صناعة اللبن تناط بها المرأة . فإليك ياربة المزرعة أوجه حديثى :

اذا اعتزمت حلب ماشيتك فبادرى أولا إلى خلع ذلك الرداء الذى كنت من ساعة أو بعضها تبسينه وأنت تنظفين الزريبة أو تصنعين أقراص المسكة أو الجلة وارتدى غيرها نظيفة ، وأظنك لن تعدمى هذه الوسيلة ، فأكثر الظن أن عندك رداءين لتخصصى لكل عملا يناسبه كما أظنك لن تعدمى وسيلة من غسل يديك مع غسل ضرة الماشية بخرقة مبلة بالماء — هذا كله كى لا يتلوث اللبن بالروث ، وأظنك وأنت تعتقدين بحرمة وطئه أو تخطيه بقدميك ستضنين عليه أن يلوث بأقذر القاذورات وهو الروث .

أما بخصوص المترد الذى تحلبين فيه فمن حسن الحظ أن هدتك الطبيعة الى ما تسمونه بعملية السمط وهى وضع المترد فى الفرن بعد غسله وهذه عملية تعقيم جيدة الا أن لى ملاحظة على هذه العملية أو على ما يشاع حولها من خرافات، تلك هى الخرافة المعروفة عندكم " بخلة الماشية " لنسمع عند زيارتنا للريف بأن خلة جاموسة ما لا تأتى على قش الأرز أى أنها تحلب أقل من المعتاد وتعطى سمنا أقل لو استعمل قش الأرز كوقود فى "السمطة" . هذه فى الواقع خرافة قد يتسبب عنها امتناعك عن تعقيم مترددك إذا خلا جرنك أو بيتك من الوقود الذى هو خلة الماشية . فلا تبالى سيدتى بهذه الخرافة واستعملى فى إيقاد فرنك أى نوع من الوقود ما دام فى هذا تنظيف لمتاردك .

أما إذا تركت لبنك فى المتارد حتى تطفو القشدة لتستعمليها فى صناعة الزبد فلا تتركيها فى مكان قذر بل يجب أن توضع فى حجرة نظيفة باردة نوعا بعيدة عن الغبار فلا تكنسيها وبها المتارد حتى لا تتيرين فيها الغبار فيتساقط فى اللبن، كذلك باعدى بين زرائب الماشية وبينها حتى لا تصل إلى اللبن روائح الروث وذراته فتفسد عليك عملك، وحذار أن تترك المتارد مكشوفة بل غطيها بقطعة من القماش النظيف حتى لا يصل اليها الذباب فيصاب الكثيرون ممن يتناولون من محتوياتها شيئا بالحميات وقد يكون من بينهم زوجك الذى تقدرينه أو ولدك الذى تعزينه.

أما إذا قمت بصناعة زبدك فخذى قصعتك أولا واغسليها وادعكيها بالماء والملح جيدا ثم بالماء الساخن ثم صبى عليها قليلا من الماء المغلى حتى يعم جميع أجزائها ثم بردينها ثانيا بالماء البارد . أما خضك القشدة بيديك فهذا أمر معيب شائن إذ قد تكون يدك قذرة وأنت لا تعلمين وحتى بعد غسلها فالنظافة غير مؤكدة، وما ذا عليك لو استعملت بدلا من يدك مغرفة خشبية قد غسلت كما غسلت القصعة فهذا ألطف لك ولمنتجاتك كما أنه عمل غير عسير.

كذلك لكى تضمنى حصولك على زبدة جيدة تعيش مدة طويلة نوعا دون تلف فتبيعينها فى الأسواق كزبد وهذا أربح لك وأربح ، فنصيحتى اليك ألا تستمرى فى الخض حتى تتكتل زبدتك وتكون كتلا كبيرة يتداخل فيها الخيض فيتلفها . بل يجب أن توقفى الخض عند ما تحبب الزبدة وتصل فى حجمها الى حجم الخرز الصغير فى عقدك أو حجم حبة البوسيم . عندئذ صبى عليها ماء باردا يكون قد مضى ليلته فى الزير على سطح منزلك ثم خضيها قليلا جدا . وصبى عنها الخيض واغسليها ثانيا بالماء البارد السالف الذكر ثم ملحيها واستمرى فى عملك المعتاد . ورجائى إلى من يستعملن القربة أن يقلعن عن ذلك بتاتا فهى طريقة قذرة يتعذر إصلاحها ما دامت القربة صعبة التنظيف . أما المخض الفخار فلا بأس به ما دام يستعمل فى غسله وسمطه طريقة غسل وسمط المترد ويحسن كثيرا أن يكون مطليا من الداخل على الأقل.

هذه يا سيدتى أهم ما عندى من ملاحظات لإصلاح طرق عملك حتى يكون انتفاعك بلبنك ومنتجاتك بالغا أقصاه . وهناك من الملاحظات ما هو أبعد أثرا وأجل خطرا، تلك هى

مراعاة الوجهة الصحية فى إنتاجك. فكثيرا ما تسمعين بأن عائلة بأسرها قد مرضت والعياذ بالله بمرض واحد كحمى التيفود مثلا . واذا بحثت قيلا وجدت أن السبب هو تناولهم اللبن خضرة التى يمرض صغارها بنفس المرض. إذن فقد انتقل اليهم المرض من صغيرها عن طريق اللبن فهلا تعتقدين أن هذه جريمة قد جنتها خضرة؟ ألا كان يجب عليها أن تباعد بينها و بين ولدها بنقله الى المستشفى؟ أو هلا كان يجب عليها على الأقل أن تغسل يديها جيدا وتطهرهما كلما اعترمت أن تقرب الماشية أو اللبن ؟ وان تباعد بين كل آنية قدمت لابنها و بين اللبن؟ فقد يتهاون الناس خطأ فى غلى اللبن قبل استعماله .

وعلى ذكر الغلى أذكر لك عادة قبيحة جدا شاهدتها بعينى فى الريف تلك هى تهافت الأشخاص كبارا كانوا أو أطفالا على شرب اللبن بمجرد حلبه وعليه تلك الرغوة المغرية . نرى هذا كثيرا ونسمع به و بعد قليل نجد أفراد الأسرة يمرضون تباعا بأخبث الأمراض جميعا وهو السل — وقانا الله شره — يعجبون لذلك ويدهشون ويذهبون فى تأويله شتى المذاهب فمن قائل إنها عين ومن قائل إنها الأسياد والمتقفنوع يعزوها للوراثة ، والواقع أنه فى كل الأحوال ليس السبب بين الأولين ، وغالبا ليس السبب هو الثالث، إنما هى تلك الماشية العزيزة عليهم تهدى اليهم هذا الوباء فى لبنها وهم لايشعرون ، وقد تبقى عندهم طويلا فتظل ناقلة للمرض بينهم تذهب بحياة ضعيفهم وتهدد قويهم، فلو أنهم غلوا لبنها دائما لنجوا من شرها فإلى أن تسن القوانين لاستبعاد مثل تلك الماشية وتنفذ نصيحتى إليك أيتها السيدة ألا تتناولى أو تطعمى عائلتك لبنا غير مغلى. أقلعى عن هذه العادة حتى تسلمى وتسلم عائلتك بإذن الله .

من حديثى هذا الموجز يتبين إلى أى حد يمكن أن ينتفع الفلاح بالبانه على بساطته و بساطة وسائله فقد انتفع بالمال الذى وضع عليه رزقه بيع الفائض عن حاجته .

أما من الوجهة الغذائية فهذا موضوع آخر يجب أن ينفرد بعدة أحاديث إلا أنه يكفى الإشارة إليه هنا بأن أؤكد بأن أهم سبب لاحتفاظ الفلاح بصحته إن أبقتها عليه الأمراض الفتاكة بابتعادها عنه هو تناوله لقطعة صغيرة من الجبن القريش أو قليل من الزبد يوميا مع لقمته المتبددة إذ لولا ذلك — مع علمنا بسوء تغذية الفلاح — لما وجدنا فى فلاحينا القوة ما يمكنهم من مجهوداتهم الشاق كما نعرفه جميعا .

أما من الوجهة الاجتماعية فعمل امرأة الفلاح واشتغالها بصناعة اللبن يعتبر خير مثل للتعاون النافع بين الجنسين . يحفظ عليها نشاطها و يشغلها عن مشاغبة زوجها ومطالبته بما ليس فى مقدوره . يحببها إليه و يشعره بضرورتها له فى منزله .وعلى ذلك فهو اشتراك فى المصلحة وليس كاشتراك بنات المدن الخالى من التعاون وتبادل المنفعة . اللهم إلا فى الصرف على كمالياتهن التافهة وهكذا طبعت مظاهر الحياة بطابع التباين حتى فى صلة الرجل بالمرأة فتلك قائمة على خير المجتمع وعمرانه وهذه على فساده والاضرار به وكل ميسر لما خلق له .

الدكتور
أمين محمد السكرى

الخيالات الباطلة
والأوهام الفاسدة

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف العمومية

حينما تطغى الحياة بأمواجها العنيفة، وتشتد بتياراتها الجارفة، يحاول المرء الهروب منها، والتخلص من متاعبها وآلامها، فيجلس أحيانا جلسة هادئة فى مكان منعزل بعيد عن الضوضاء والجلبة، ويختلس جانبا من أوقات فراغه ليناجى نفسه بأشهى الأحاديث وأعذب الامانى والأحلام، وليرضى لذته العقلية بالعكوف على ألوان من التمنيات، وأنواع من الامال، فتراه تحسبه صامتا وهو فى الحقيقة ناطق متكلم، وتظنه ساكنا، وهو فى الواقع متحرك وصدره جياش بالخواطر المتواردة، والأفكار المتواثبة.

يغمض عينيه إغماضة خفيفة حتى يداعبها الكرى فى رفق ولطف، ثم يسترسل فى تفكيراته الحرة التى لا يحدها حد، ولا يقيدها قيد، ويتمادى فى خيالاته الطليقة التى لا تخضع لإرادة، ولا تستمع الى قانون أو نظام. فتجىء الفكرة تتبعها الفكرة، والخاطرة تسابقها الخاطرة، ويؤلف الخيال من كل ذلك صورا براقة لماعة يتكون من مجموعها منظر ساحر عجيب يجمع بين عواطف الماضى ولذائذ الحاضر والمستقبل. فلا يتمالك الانسان أن يتأملها تأمل العاشق الولهان، وأن ينظر إليها بعين خياله ليتناسى بها الحقيقة المرة والماضى المؤلم، ويضع منها تصميما لمستقبل خير من مستقبله، وحياة أبهى من حياته. ويقنع بهذه الصور الخيالية وإن كانت أحلاما بعيدة كل البعد عن الواقع الملموس، ويكتفى بهذه الروائع الذهنية وإن كانت من نسجه ومن عمل خياله ولا تتطابق مع الحياة الواقعه.

وأكثر ما يكون هذا النوع من الأحلام عند ما يصطدم المرء بصخرة الواقع ويجد أنها لا تتكسر ولا تلين، ويجد الدنيا قاسية جافة لا رحمة فيها ولا شفقة، ويجد كل شىء فى الوجود عابسا صاخبا، فيفر من كل أولئك فرار الجبان المهزوم ملتجئا إلى هذه الأحلام اللذيذة التى تسرى عنه همومه وكروبه، وتنسيه آلام الحياة وما فيها. وما أشبه هذه الأحلام بالدمعة المسكوبة يرسلها الحزين فينسى حزنه، والمريض فينسى مرضه، والفقير فيتأسى.

فمن رزئ فى ماله بخسارة فادحة، وضاقت به سبل العيش وجد فى طبيعة نفسه ما يسليه بعض التسلية، وينسيه ولو فى فترة قصيرة آلام نكبته، ومرارة خسارته: تأتيه "أحلام اليقظة" فينشط خياله نشاطا عظيما ويرى رواية أشبه ما يكون برواية الخيالة "السينما" تتهافت فيها الصور الواضحة عن الكنوز والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. وإنه بهذه الصور الخيالية يحلق فى أجواء بعيدة عن أجواء

الحياة ، ويسبح فى عالم لا يرتبط بعالم الحقيقة . ويطيب له أن يحيا حياة خيالية يخلقها كما يشاء، ويصورها كما يريد ويشتهى . هذه الأمانى الحلوة المعسولة التى يستطيبها المرء فى أيام محنته وبلائه ليتخلص بها من عذابه وشقائه، ويسترسل فى التفكير فيها استرسالا غير مقطوع يسمى أحلام اليقظة . وبها يبنى قصورا فى الهواء، ويتخيل أن السراب هو الماء، ويصوّر لنفسه حياة طيبة مليئة بالطرائف واللطائف ويعيش فى دنيا لا نظير لها ولا مثل ، فيجد اللذة الخيالية غالبة على نفسه، تسليه فى يومه وفى غده، وتنسيه ما كان من ظلام أمسه .

وهذه الأحلام مقبولة مستساغة ما دام المرء لم يسترسل فيها هذا الاسترسال الذى يقصيه بعيد عن الواقع، ذلك لأن التمادى فيه خطأ أى خطأ. يجعل صاحبه أليف الراحة والكسل، ضعيف الإرادة والفكر، قليل العمل . وهذا مرض نفسانى تجب معالجته قبل أن يستفحل داؤه، ويستعصى برؤه وشفاؤه، ويجعل صاحبه حليف النوم والأمانى .

ذلك لأن الشخص الذى تغلب عليه نزعة الأمانى الكاذبة. والأحلام الباطلة. يتجه اتجاها طائشا . ويطمع فى غير مطمع ، ويرعى فى صحراء مقفرة لا تنبت شيئا فلا ينال مأربا ، ولا يحقق غرضا، ولا يعمل عملا وهذا هو لمرض بعينه .

وكذلك من الأمراض النفسية : الأوهام الباطلة الخيالية التى تنشأ من الرعب والخوف الشديد ، ومن الحذر وتوقع الخطر ، ومن القلق المستمر ، ومن التشاؤم فى الحياة . فهذه آفات تدخل على القلوب كما تدخل السموم فى الدماء فتفسدها وتعطل وظائفها ، وتجعل العقل فى اضطراب وفوضى ، وتولد فى النفس الأوهام المزعجة . هذه الأوهام تصور الحياة بصورة بشعة ، فيتخيل المرء أن الأرض حزينة ، وأن السماء كئيبة ، والفضاء ضيق ، وأن النور ظلام ، وأن الحياة موت . ويتوهم الباطل حقا، والحق باطلا . فان قام فى تثاقل ، وإن مشى ففى اضطراب وضعف ، وإن جرى ففى غير قوة وبدون رغبة . صوته ضعيف خافت ، ورأسه مائل ماتو ، يؤثر أن يجلس منفردا غارقا فى نفسه مهما يكن حمله ثقيلا ، وهمه طويلا . وقد يلقى هذا المسكين من ذوى قرابته ورؤسائه وجيرانه غلظة وقسوة وشدة وجفوة، فيزداد مرضه النفسى ويتوهم أن الكون بما فيه يناوئه ويعاديه . ويتخيل أن العالم كله يتربص به الدوائر. ومن ثم تشتد مخاوفه ، ويزداد جبنه ، ويسوء تفكيره ، وتظلم الدنيا أمام ناظريه . وهذا شقاء ليس بعده شقاء . فينقلب متشائما لا يثق بأحد ، وموسوسا لا يطمئن الى أحد ثم ينقطع عن مجتمعه انقطاع اليائس المحسور . وقد تحمد نشاطه، وفترت همته ، وضعفت صحته ، واضطربت أعصابه وساءت حاله ، وصار كالريشة تلعب بها الريح وتسيرها كيفما تريد . فلا يحسن قولا ولا يتقن عملا ؛ لأنه شارد الفكر مسلوب الفؤاد وأى مرض نفسى أعظم خطرا وأبلغ ضررا من هذا المرض الذى يؤدّى الى الضرر الخلقى والنقص العقلى ، ويقتل الحيوية فى الجسم ، وما سببه فى الأصل الا الخيال الوهمى.

فإن كانت أحلام اليقظة مدعاة الى التفاؤل بكل شىء فى الحياة فالركون اليها باستمرار يجعل المرء نائما حالما ذاهلا عما فى الوجود ، ولا يفيق من نومه وذهوله إلا حينما تتبدد أحلامه أمام الحقيقة الواقعة كما تتبدد السحابة أمام حرارة الشمس المحرقة ، فتترك وراءها

حسرات لاذعة باقية . وكذلك الركون الى الأوهام يؤدى الى التشاؤم بسبب الهواجس المرعبة التى تحتل القلب فتذيبه فرقا ، وتحتل النفس فتملأ فراغها بؤسا وشؤما . وكلتا الحالتين تجعلان المرء غير صالح للحياة التى تتطلب خيالا مضبوطا ، وفكرا منظما ، و إرادة قوية ، واعترافا بالواقع ، وصبرا لما يأتى به الزمان من أحداث وكوارث : فالتفاؤل الزائد عن حده شر لأنه يغرى الانسان بأودية فيحاء خضراء لا وجود لها ، والتشاؤم شر كذلك لأنه يلقى به فى أودية ضيقة مقفرة لا وجود لها الا فى الخيال الوهمى . وخير للمرء أن يلتزم الحد الوسط فلا يتمادى فى تفاؤله ، ولا فى تشاؤمه ، وأن يكون عمليا متصلا بالحياة يفكر جديا فيما يمكن تحقيقه والوصول اليه ليكون أمامه هدف يسعى له ، وغرض يرمى الى إصابته . وكلما وصل الى غاية قريبة اتخذ سبيله الى غاية أخرى حتى اذا ما أدركها امتد أمله الى غاية بعيدة وغاية أبعد وهكذا ما دام حيا معافى سليما . فأمامه ميدان العمل فسيح الأرجاء ، وهو لا يزال يدأب مستمرا فى الكد والكدح ، وكلما قارب مرحلة وجد أمامه مرحلة أخرى .

إنه بهذا اسير الحازم يختط لنفسه مثلا أعلى يعمل على تحقيقه . وما المثل الأعلى إلا الصورة الخيالية التى تحتاج فى بلوغها أو القرب منها إلى الدأب والمثابرة والتفكير فى شتى الأسباب ومختلف الأساليب وتسديد الخطوات نحو الأهداف المتنوعة التى توصل اليه ، فلا تتشعب عليه المسالك ولا تختلف به الطرق كما تشعبت على الحائرين والواهمين .

وإن الجهل بأسرار الطبيعة وبحقائق الأشياء من العوامل المؤدية الى الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة ، فيتوهم امرؤ الظواهر الكونية توهما باطلا ، ويفسرها تفسيرا لا يتفق مع الواقع ، ويكون لنفسه معتقدات فيها لا نصيب لها من الحق : كمظاهر الرعد والبرق والسحاب والمطر والظلام والدورة الفلكية ، وهذه المظاهر لم يفهمها الإنسان القديم ولم يدرك نشأتها فخافها ، وتخيل فيها ما تخيل ، ونسب اليه ما نسب ، واخترع لها الخرافات والأساطير والأباطيل ، نتيجة لسوء الفهم والتأويل ، ومن الغريب الطريف أن خيال الإنسان يخترع الأساطير اختراعا ثم يأتى من بعده قوم يؤمنون بها ، ويعتقدون فيها كأنها هى من الحقائق المسلم بها . ولكن العلم الحديث قد كشف القناع عن كثير من أسرار الطبيعة فأدركها الإنسان إدراكا صحيحا مبنيا على التفكر والتعقل ، فبطلت الخرافات التى كانت تسيطر على العالم بسبب الخيالات الفاسدة .

فالوهم والخوف والجهل وبساطة العقل قد دفعت الهمج فى أيام الجهالة الأولى أن يعبدوا الشجر والمدر والحجر والكواكب والبحار ، لأنهم توهموا أن فيها أرواحا وآلهة ، ونسجوا لها الأساطير . وإن الجهالة تدفعهم الآن إلى تخيل الأباطيل ، واعتقاد أنها صحيحة صادقة . وويل للجهلاء مما

محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

جيش الخلاص المصرى

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد

المحقق القضائى بالآثار

فى مدرج كلية الطب بالقاهرة ، وبدعوة من مدرسة الخدمة الاجتماعية فى مناسبة افتتاح هذه المدرسة لسنتها الدراسية الجديدة ، وقف رجل مسئول من أصحاب السلطان ، يعرض برنامجا للإصلاح الاجتماعى فى مصر، هذا الرجل هو صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية .

كان المحاضر يبدو مرتجلا فى كلمته ، لكنه بدا غير مرتجل فى تفكيره ، وهذه نقطة جوهرية ، أو هى صخرة متينة من صخور الأساس ، لمن يريد بحق أن يقيم إصلاحا اجتماعيا ثابتا مطردا فى هذا البلد .

آفة الإصلاح الأولى فى بلادنا الارتجال . يقوم الإصلاح عندنا على فكرة عابرة ، فيتغير ويتبدل ثم سرعان ما يذهب ويزول ، بفكرة عابرة كذلك ، ولذا تأخرنا كثيرا فى الوصول إلى غاية ما من الغايات ، لأن الوسائل عندنا كانت دائما مرتجلة ، فنعود بادئين بعد أن نكون قد أشرفنا على الوصول ، ذلك لأن تفكيرنا ، تقريرنا وتنفيذنا كان دائما — كما أقول — بطريق الارتجال ! .

لنا إذا أن نطرب ، حين نرى فى مركز صاحب السلطان رجلا له برامج ... ويطربنا أكثر أن نرى هذه البرامج — وقد فرغ من إقرار صلاحيتها — تأخذ سبيلها العاجل إلى التنفيذ ، على أسس رسمية نرجو أن تكون ثابتة مع الأيام .

تكلم معالى الوزير فى موضوع الخدمة الاجتماعية فى مصر ، فشرحها شرحا وافيا ، ونادى بضرورة الإكثار من إنشاء مدارسها . فكان طبيعيا أن يقابل هذا الكلام بكثير من الحماسة ، وهو صاحب الأمر فى العمل رسميا لتنفيذ هذا الذى ينادى معاليه به ، وهو القادر على تنفيذه لو أن لدى وزارته من الوسائل المادية ما يجعلها مستطيعة تنفيذ هذا الذى يدعو معاليه إليه ، ومن حق هذه الوزارة أن تمكن من هذه الوسائل ، تحقيقا للغرض الأساسى من إنشائها .

لكن لم أطرب لرأى معاليه فى ضرورة الإكثار من إنشاء مدارس الخدمة الاجتماعية ، بقدر ما طربت لدعوته إلى تدريس العلوم الاجتماعية فى المدارس ، وربما كان هذا لأن هذا الطريق هو أقرب الطرق إلى خلق المجتمع المصرى السليم ، خلقا أقرب إلى الكمال .

والإصلاح الاجتماعى يلزم أن يهيأ له الرأى العام بكل الوسائل ، وأن يوجه فيه وجهة واحدة يلتقى فيها بتشريع اجتماعى قائم على عدالة اجتماعية منظمة . تشير هذه العدالة بالأخذ بالضرائب المتدرجة تدرجا معقولا ومناسبا ، وبإعفاء الضروريات من الضرائب غير المباشرة وبالعمل على انتعاش الصناعة الوطنية لتكون موردا إلى جانب المورد الزراعى . وإقرار مايتطلبه هذا الإنتعاش من شتى النظم المالية والتيسرات المادية التى تشجع الوطنيين على أن يتجهوا بجهودهم وأموالهم إلى ميدان العمل الصناعى ، والتى تمهد لهذه الصناعة الوطنية سبيلا صالحة تسير فيها آمنة مطمئنة بين شتى عوامل المضاربات الاقتصادية الأجنبية ، حتى تستطيع أن تقف أخيرا على قدم ثابتة بين غيرها من الصناعات ، محمية بجودتها وبأسعارها المعقولة وبوفرة انتاجها ، ومحمية مع هذا بنظم رسمية اقتصادية ، تقوم هذه النظم على أساس إحياء هذه الصناعات وحمايتها ، ومحمية أيضا قبل كل شىء بروح العزم والإقدام المستلهمة من تثقيف اجتماعى عام يشمل الوطن المصرى جميعا ، ويمثل مركزا ممتازا فى برامج التعليم .

ولاجدال فى أن الخريجين فى مختلف المعاهد وشتى أدوار التعليم ، هم — كل فى حدود بيئته — الموجهون لتفكير الجماعات وأذهان الجماهير ، ففى تنشئة هؤلاء ثقافيا تنشئة اجتماعية سليمة توجيه طيب لجيل الحاضر ، وتنشئة سليمة للأجيال المتتابعة .

وتحقيق هذا الذى يدعو إليه معالى الوزير يقتضى تحقيق مادعا إليه أولا من ضرورة العمل على الإكثار من المدارس الاجتماعية فى مصر . حتى تستطيع هذه المدارس أن تخرج للبلاد حاجتها من الاصلاحيين الاجتماعيين ، اللازمين لمشروعات كمشروع الوحدات الاجتماعية وغيره من مشروعات المؤسسات الاجتماعية واللازمين أيضا لتدريس العلوم الاجتماعية فى مختلف المدارس . وهذا يتطلب أن يكون لدى وزارة الشؤون الاجتماعية من الوسائل المادية مايمكنها من تحقيق هذا . ومن حقها أن تكون مالكة لما يلزمها من هذه الوسائل .

لكن تحقيق ما يدعو اليه معاليه من نشر الثقافة الاجتماعية فى جميع معاهد التعليم يمكن أن يجىء كذلك بطريقة لا أقول إنها كافية وحدها ، ولكن أقول إنها مساعدة وإنها لازمة ، هذه الطريقة هى أن ينظر بالمنظار الاجتماعى إلى برامج الدراسة فى جميع المعاهد وشتى مراحل التعليم ، وأن تعدل هذه البرامج فى كل مايمكن أن تعدل فيه ، حتى تتفق كل الاتفاق ، والصورة الاجتماعية المرغوب فى الوصول بمصر اليها .

وأما كيف ينظر إلى هذه البرامج بالمنظار الاجتماعى ، وكيف تعدل بحيث تكون كذلك فلعله أمر لا يغيب عن أذهان المسؤلين .

وينادى معاليه بأن تقوم هذه العدالة الاجتماعية أيضا على أساس إصلاح الأراضى البور البالغة مساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأفدنة ، حتى يجد فيها العديدون رزقا حلالا .

كما نادى بضرورة إيجاد اختصاصيين اجتماعيين فى جميع أنحاء البلاد وبضرورة الانتفاع فى ميدان الإصلاح الاجتماعى بأئمة المساجد ومأذونى الشرع وشباب الأزهر ورجال الطرق الصوفية ، وبذلك يكون لاقتران الإرشاد الاجتماعى بقوة الدين تأثير عظيم ونتيجة مرضية .

وقال معاليه إنه إذا كان يرى أن الواجب يقضى بإنشاء أندية اجتماعية فى القرى والأحياء الوطنية ، فإنه يذكر أن هذا المشروع لا يكلف شيئا ماديا بل يتطلب مجهودا أدبيا فحسب. فالمدارس الالزامية فى القرى والقهاوى البلدية فى الأحياء الوطنية فى البنادر والمدن ، هى أمكنة هذه الأندية الاجتماعية ، ويجب أن يرسل إليها المرشدون الاجتماعيون .

وقد صحت عزيمة معاليه على تكليف بعض الأدباء بوضع قصص تاريخية ووطنية باللغة العامية تتلى فى القهاوى بالطريقة المعروفة فى تلاوة قصة الزير سالم وأبى زيد الهلالى .

وأبان معاليه فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية أن خطته تقوم على الانتفاع بكل أداة ولو كان يعتورها نقص ، وقال إنه يرى إنشاء مدارس اجتماعية فى المديريات لتعليم مدرسى المدارس الالزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ، ليكونوا مرشدين اجتماعيين فى وسعهم أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى أربعة آلاف قرية وفى خمسة وعشرين ألف عزبة ، وفى مقدورهم أن يوجهوا المجتمع المصرى وجهة جديدة .

هذا البرنامج الذى عرضه معالى الوزير فى كلمتيه بالقاهرة والاسكندرية ، يمكن أن يحقق عملا توجيها اجتماعيا جديدا فى وقت معقول. وبهذا يفضل هذا البرنامج كثيرا ما تسير عليه وزارة الشؤون الاجتماعية الآن من نظم عظيمة حقا — كما قال معاليه — لكنها بطيئة . فهى تعالج شؤون الفلاح — كمثال — عن طريق المراكز الاجتماعية ، وهذه تحتاج الى ميزانية كبيرة وجهود عظيمة . فان الوزارة لم يتيسر لها حتى الآن أن تنشئ أكثر من ثمانية مراكز يقوم كل منها بخدمة عشرة آلاف نسمة ؛ واذا سار الاصلاح فى هذا السبيل فحسب ، واذا ما استمر نصيب الاصلاح الاجتماعى فى ميزانية الدولة مثل ما هو عليه فحسب ، وجب أن تنقضى مئات السنين قبل التمكن من تعميم هذا التوجيه الجديد ، وقبل الوصول الى نتائج إصلاحية عملية شاملة .

كل هذه العوامل والوسائل التى أشار اليها معالى الوزير فى برنامجه يمكن أن تكون جيشا كبيرا من المصلحين فى مصر .

ومن المفيد كثيرا أن تشعر الدولة جنود هذا الجيش بأنهم يؤدون واجبا وطنيا عظيما ، وأنها تلمس قيمة هذا الواجب وتقدره، فترفع من مستواهم ماديا وأدبيا معا، وتطمئنهم على حالهم وأسراتهم، وأغلبهم ممن يشكون كل يوم قلة أجورهم والغبن اللاحق بهم ... وعندها يمكن أن يكون من هؤلاء فى مصر "جيش الخلاص" الذى أعلن معالى الوزير فكرته وبرنامجه والذى يرجو كل مخلص لو تم حشد هذا الجيش عاجلا، على أساس سليم، حتى تتجه الأمة — كتلة واحدة — الى التشريع الاجتماعى الذى نادى به معالى الوزير، والذى يقوم على أساس تحقيق العدالة الاجتماعية فى مصر .

إن تشكيل جيش الخلاص فى مصر ، اليوم ، فى هذه الصورة الرسمية المنظمة ، أفضل كثيرا من أن يشكل غدا فى غيرها من الصور ... ؟

عماد الدين عبد الحميد

آلة الرياسة سعة الصدر .
ازجر المسىء بثواب المحسن .
الطمع رق مؤبد .
من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع .
من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم .
يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .
اذا ازدحم الجواب خفى الصواب .
اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة .
كن وصى نفسك فى مالك واعمل فيه ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك .

بين الكوخ والقصر

تعالى فما قال إلا "أنا" وأنساه كل العباد الغنى
له دولة بين قصر منيف بها اليانع الحلو دانى الجنى
فأنى ترى العين تلف الهناء تمثل فيه هنا أو هنا
مقاصير للخرد الغانيات خفوق بها الظل خفق المنى
وللهو فيه وللسادرين ملاعب كم هتكت محصنا
فيوما سكارى ويوما سهارى وسامرهم للهدى ما انثنى
إذا شمته خلته خالدا وأقسمت لا يعتريه الفنا
وصاحبه والغ فى هواه تخطمه الداء واستوطنا
يجاوره الكوخ والساكنوه نفوس من الصبر لن تحزنا
ثريون بين الرضا والقضا فما إن شكوا أو بكوا موهنا
وقائدهم راقل فى صباه فما صده عن علاه الضنى
يسير إلى الرزق سير النسيم رخاء فما إن وهى أو ونى
فمن ثرى الكوخ رأس الغنى وضاع الذى قد جنى واقتنى
وطال على القصر رأس الفقير وأين من القصر هذا السنا

البيت الذى لا يتهدّم

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

سرنى أن قرأت فى إحدى الجرائد الصباحية تحت عنوان " دعم بناء الأسرة " ان من بين المشروعات التى أوشكت وزارة الشؤون الاجتماعية أن تفرغ من بحثها فيه هو مشروع قانون يرمى إلى دعم بناء الأسرة والتخفيف من مضار الطلاق .

امتلأت نفسى غبطة لهذا الخبر السار واستبشرت خيرا بوزارة الشؤون الاجتماعية التى تعطينا فى كل يوم مثلا جديدا على تغلغلها فى أحوال المجتمع، واكتشاف نقط الضعف فيه . ولعمرى إن هذه الوزارة الفتية كان لا بد لها من أن توجد منذ عشرات السنين كى تأخذ بيد المجتمع .

كان اهتمام وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا الأمر صدى لصيحات عديدة ليست وليدة اليوم . وقد كانت مقالتى فى العدد قبل الأخير من مجلة "الشؤون الاجتماعية — كاشفوا مواطن الداء — تتحدث بوضوح فى مضار تعدد الزوجات وأثره فى هدم الأسرة المصرية وانحلالها ، ومضار ترك أمر الطلاق عندنا مباحا إباحة مطلقة بلا قيد ولا شرط. وناشدت وزارة الشؤون الاجتماعية أن تعنى بهذا الأمر ، وها هى تبرهن لنا من جديد على أنها يقظة لا تغفل عن مصالح الشعب .

وموضوعى اليوم الذى عنونته بعنوان "البيت الذى لايتهدم" لا يخرج كثيرا عن نطاق موضوعاتى السابقة التى تدور جميعها حول الأسرة المصرية وضرورة السمو بها إلى مصاف أرقى الأسر الغربية .

فالبيت الذى لا يتهدّم هو البيت الذى قوامه (رجل وامرأة) . والمرأة التى أعنيها هنا هى تلك المرأة الكاملة الأنوثة التى تعرف حق وظيفتها المقدسة فى الحياة ولا تخرج عما سنته الطبيعة لها فتزاحم — غير مضطرة — الرجل فى ميادين الأعمال .

والرجل الذى أعنيه هنا أيضا هو ذلك الأسد الغيور الذى يشعرنا دون كلفة أو عناء باكتمال رجولته وقوة شخصيته ، لا ذاك الذى يزاحم المرأة فى أنوثتها وما طبعت عليه من رقة ونعومة .

ولا ريب أنه لو وجد هذا الرجل ووجدت هذه المرأة ، وعرف كل منهما واجبه المسؤول عنه أمام الله والوطن ، وعاش كل منهما أمينا على هذا الواجب ، شريفا فى أدائه حريصا على سلامته لما أمكن لأسرتنا المصرية أن تتهدم .

وإذا سلمنا بأن التربية الأولى هى التى يتوقف عليها إنتاج هذا النوع الإنسانى الكامل لوجدنا أن المرأة هى المسؤولة عن أخلاق أبناء الأمة ، وبين يديها وحدها مصيرها الأدبى والمادى .

وإن كنا نضع هذا العبء الثقيل على أكتاف المرأة ، فلا ننسى أن نقول بأنه ليست كل امرأة بالتى يمكننا أن نوليها هذه الثقة العظيمة ونركن اليها ، إنما هذه المرأة هى تلك التى تكلمت عنها فى أول الموضوع ، المرأة المثقفة ، العاقلة التى تعيش فى كنف رجل كذلك الذى تكلمت عنه فى أول الموضوع أيضا . رجل يعرف حقوقه وواجباته نحو أسرته ، فينظر إلى زوجته نظرة المعلم ، والأب الشفوق ، والأخ ، والصديق . ويهذب مايحتاج فى أخلاقها من تهذيب ، لا ذاك الذى يشجعها بضعفه على التمادى فى طرقات الجنون والاستهتار ، فيشب أولادها على غرارها ، متشبعين بمبادئها ، متشبهين بنواحى الضعف فيها .

ولا يمكننا أن نتغاضى عن سوء نشأة أولاد الزوجات المستهترات . فإننا إذا بحثنا عن أسباب انهيار أخلاق بعض فتياتنا وفتياننا فى مصر ، لرأينا أن السبب فى ذلك إنما يرجع إلى تلك الحرية الخاطئة التى يفهمونها بمساعدة أمهاتهم الضالات مما ترتب عليه اندثار الكثير من عاداتنا القديمة الفاضلة .

والأدلة على اندثار تلك العادات والأخلاق كثير ، يظهر بعضها جليا فى تلك الأخبار التى تطالعنا على صفحات الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية فى مسائل الزواج والطلاق . فلو أننا تنبهنا جيدا لتلك الأخبار ، لرأينا فيها مايدهش ، ولاشمأزت نفوسنا من مثل خبر

طلاق فلانة من زوجها الرابع لاستئناف حياتها الزوجية الجديدة فى كنف الخامس ، بنفس السهولة التى تخلع بها المرأة قفازها القديم لاستبداله بآخر جديد . وفلانة هـذه مع الأسف ومن يشبهونها ، من طبقاتنا الكبيرة المعروفة . وأخشى ما أخشاه فى هذا الأمر ، حب التقليد الذى نراه متفشيا بشكل واضح بين فتياتنا المصريات والخوف من أن يعود علينا هذا التقليد بالعار والانهيار الخلقى .

فلا ينسى أحدنا عمق تلك المهاوى التى تجتازها الفتاة الفقيرة لترضى فى نفسها نزعة التقليد العمياء ، ومع ذلك كيف نلومها إذا تشبهت بصاحبتها الغنية ، وإن كانت قد دفعت الثمن غاليا ؟ ... أليس الطفل دائما يقتدى بالكبار ؟ ومن على الأرض يهفو لرؤية ما فى السماء .

أما من جهة ضعف أخلاق الكثير من شبابنا فليس أدل عليه من تسكعهم طول النهار أمام المقاهى ، وطول الليل أمام الصالات الحقيرة ودور اللهو . وانكبابهم على الخمر والملذات .

كل تلك أدلة ملموسة على ضعف الأخلاق وانتشارها فى أغلبية أبناء وبنات الجيل الجديد مما جعل بيتنا المصرى لا يستقيم له عماد حتى الآن .

أليست هى الأم المدلّلة ، الضعيفة الأخلاق هى التى تخرج لنا هؤلاء الحشرات إلى قلب المجتمع ليلوثون وطنيتنا ، أليست هى الأم التى ترك لها زوجها الحبل على الغارب هى التى تشجع ابنتها الغرة على إساءة استعمال حريتها فيما يعن لها من المساوئ متشبهة بها فى كل ماتسمع وما ترى ، وهى التى تقدم لها بطريق مباشر أو غير مباشر السجائر ، وتحثها على الخلاعة ومصاحبة الشبان بحجة البحث عن الزوج المنشود ، والفتاة حائرة مضطربة ، تعطى كلا من قلبها جانبا حتى تجد ذلك البطل الخيالى الذى يمكنه أن يسعد فتاة مثلها لها من التجارب مالها ، ولا حاجة بى إلى القول بأن تلك الفتاة لا يمكن أن تكون زوجة صالحة تحافظ على كيان أسرتها وتفيد وطنها .

كذلك أليست الأم الجبانة الرعديدة التى تركها زوجها تعيش فى محيط جهلها ، دون أى جهد منه فى تنمية مداركها وتهذيبها ، هى التى تولول وتملأ الدنيا عويلا وصياحا ، ثم تقيم الدنيا وتقعدها عند ما يطلب منها الوطن فتاها الذى تركه فى ذمتها طفلا كى يسترده رجلا ؟

هذبوا أخلاق المرأة أولا . عودوها على استغلال حريتها فى حدود الكرامة والشرف ، وفيما يعود عليها وعلى وطنها بالرفعة والرقى ، دعوها تعيش فى محيط من النور يريها حدود وظيفتها الانسانية السامية فى الحياة . ثم انتظروا منها رجالا بواسلا يفخر بهم الوطن وفتيات صالحات يسمو بهم المجتمع وتستقيم نواحى الاعوجاج فيه .

ومن أهم واجبات المرأة الكاملة نحو وطنها ، أن تبث فى نفوس النشأ روح الشجاعة الأدبية وحب التضحية فى سبيل الوطن ، كى يشبوا شجعانا لا يعوقهم عائق عن أداء واجباتهم . كما يجب عليها أن تسير بكل من الفتى والفتاة إلى الطريق الذى خلق له كل منهما والذى يجب أن يسيرا فيه ليشب كل منهما ملما بحقوقه متشبعا بواجباته .

يجب عليها أن تكون شجاعة فى تأدية واجبها نحو أولادها فتبتعد بهم عما يلوث نفوسهم البريئة من مظاهر الحياة الكاذبة ، كما تقتصد فى إبداء حنانها لهم لئلا تعودهم التدلل والخنوع . وهـذا أخطر مرض نفسانى يصاب به الأطفال ، ولا يمكن لأطفال هذا شأنهم أن يكونوا رجالا كما ينبغى أن يكون عليه الرجال .

وأرجو ألا يكون مفهوما بأنى أدعو إلى ضربهم أو إيذائهم ، فإن هذا ولاشك أفظع عاقبة من التدلل ، إذ يخلق منهم رجالا ضعافا جبناء ، يخيفهم القول ، ويهزهم الوعيد ... ففى استطاعة المرأة القوية الروح أن تفيض على أطفالهـا من روحها قوة وعزما وأن تبث من مبادئها القويمة ، حب الخير فى نفوسهم ، وأن تريهم بأعمالها وحبها لوطنها وحماستها فى سبيل واجبها مايدعهم يقتدون بها ويتشبهون بوطنيتها وشجاعتها بغير جهد منها أو عناء .

ومن أهم مايجب عليها الاهتمام به الابتعاد بهم عن قراءة الروايات السقيمة ، وسماع الأغانى الرخيصة المبتذلة المـائعة التى شاعت هذه الأيام والتى تشكر لوزارة الشؤون الاجتماعية العناية بمحاربتها ، كما تمنعهم منعا باتا من مشاهدة ماتضمه دور اللهو والصالات العامة عندنا فى مصر من المخازى والتهتك والاستهتار .

فاذا أمكن للمرأة المصرية أن تقوم بهذا الواجب المقدس بدقة وأمانة لارتقى دون شك مستوى أسرتنا المصرية ولمـا تفشت فيها روح الهدم والانحلال .

وإذا كنت قد وجهت معظم حديثى للمرأة ، فان الرجل وهو محور العائلة هو فى الواقع حجر الزاوية فى بناء البيت وعليه حمايته من التهدم ، فكما أن الزوجة مسئولة عن أخلاق أولادها ، فالزوج مسئول عن أخلاق زوجته التى تربى هؤلاء الأولاد .

ومن أول واجباته نحو أسرته ، أن يفهم جيدا مسؤولية الزواج ، فيغير من منهاج حياته القديم حيث كان لا هم له إلا الأكل واللهو والنوم فيهجر داء المقاهى ويحرص على كل دقيقة من وقته فلا يضيعها فى غير موضعها وينظر الى البيت نظرة تقديس واحترام وكأنه الجنة الموعودة على الأرض. وأن زوجته هى ملاك تلك الجنة ، فيعطيها كل رعايته واهتمامه يشركها معه فى مطالعاته والجديد من معلوماته ، ويعكف على تلقينها بالعظيم من مبادئه ويقوم نواحى الاعوجاج فيها ، ولا يدعها تختلط بغير الفضليات من الآنسات والسيدات ، ويحثها دائما على قضاء وقت فراغها فى خدمة المجتمع وعمل الخير ، ويعلمها كيف تستغل حريتها كامرأة فاضلة صالحة لأسرتها ووطنها وأن تكرس حياتها لهذا الوطن بأن تخرج له ثمرة رقى المرأة ومعرفتها وثقافتها ، وأن تظهر للعالم بأن فى يدها الصغيرة مفتاح سعادة الأسرة المصرية ودعامتها .

* * *

ويا حبذا لو أضافت وزارة الشؤون الاجتماعية يدا جديدة إلى أياديها البيضاء ، بأن تنشىء فى مدرسة الخدمة الاجتماعية قسما خاصا برقى الأسرة المصرية وتدعيم البيت المصرى ، وأن تسمح فيه للمثقفين من الأزواج والزوجات بالبحث فى مسألة الأسرة المصرية والعمل على درء ما يهددها دائما من تهدم وانهيار ، وليكن هذا القسم باسم (قسم الثقافة الزوجية) مثلا ، وهذا دون شك سيكون له شأن كبير فى دعم بناء الأسرة وخدمة المجتمع .

زينب محمد حسين

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى وعليه من لبس المجوس مرقع
بطرائق سود وبيض لفقت وكأنه فيه غراب أبقع

بين الترجمان وعشش القرود

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

كنت فى السابعة من عمرى حين سمعت من جدى الحديث التالى :

" منذ ثلاثين سنة ، تفشى بالبلد وباء شديد يعرفه العامة بالشوطة ، ويؤرخ المعمرون اليوم حوادثهم بتلك الشوطة التى فتكت بالكثيرين وحصدت بمنجلها أرواح عشرات الألوف من الأهلين ، وكان الوباء إذا دخل البيت أتى على كل من فيه ثم لا يلبث أن يمتد الى جاره امتداد النار فى الهشيم حتى ضاق بالناس وقتهم عن إقامة المأتم وتبادل العزاء ، وشغلت الجثث لكثرتها كل حداء . وقد وجد اللاء فى بولاق مرتعا خصيبا ، فكنت لا تسمع فى بيوتها غير صراخ يحاوبه صراخ ، ولا تشهد إلا جنازات تتبع جنازات " .

وتابع جدى حديثه فقال " وكانت أشد المناطق تأثرا بالوباء هى منطقة الترجمان لكثرة أهليها وسوء تنظيم مبانيها ، حتى رأينا الناس هناك يعمدون الى عربات النقل يكدسون عليها جثث موتاهم ، فرأيت إذ كنت عمدة لبولاق ألا مخفف لهذه البلوى غير عمل حازم لتطهير الحى ، وسارعت إلى ولاة الأمور أشير عليهم بعزل سكان منطقتى الترجمان وسوق العصر ، والمبادرة بهدم عششهم وإحراق مخلفاتها مع ما يوجد بها من أسمال وسقط متاع "

واستطرد شيخنا فى حديثه فقال " وقد وجد رأيى ترحيبا من الإدارة ومن رجال الصحة فجمعنا الفعلة وقمنا بهدم العشش بعد أن أخرجنا الأحياء منها ، وكدسنا أخشاب الأكواخ وما حوت من فرش وأسمال ، أكواما فوق أكوام ، ثم أشعلنا النار فيها بين بكاء وعويل أصحابها الذين باتوا رجالا ونساء فى العراء وفى معزل عن الأهلين .

واستوى جدنا على مقعده ثم قال " عدت عقب هذا الحادث إلى دارى فقابلنى هناك الشيخ رمضان وهو ولى يقوم ضريحه اليوم بمسجد أبى العلاء ، وكان الشيخ رمضان عندى بمنزلة المعلم والوالد وما إن رآنى حتى انهال على تعنيفا وتأنيبا على ما فعلت وأنذرنى بانتقام من الله شديد " .

وزفر محدثنا زفرة عميقة ثم عاد يقول : " ولم يكد الشيخ رمضان يبرح بيتى حتى شعرت بالحمى تدب فى جسدى فلزمت فراشى ولم أقم منه إلا فاقد البصر . تخليت عن عملى وعكفت على العبادة والدين أدرسه على كبير بالأزهر وألقنه العامة بمسجد الواسطى الذى أقمته بالحى ليكون معزلى وخلوتى وكل ما أرجوه أن يغفر لى ربى ما اقترفت فى حق أبناء الترجمان " .

انتهى جدى الشيخ ابراهيم غالى من حديثه وكانت غايته أن ينهانا نحن أبناءه وأحفاده حتى لا يصيبنا ما أصابه ، ومضت السنون ونحن لا نرى فيما أقدم عليه جدنا إلا قسوة لا تعدلها

غير قسوة نيرون وطغيان فرعون حتى شاءت الأيام أن أحمل أمانة الكتابة فى هذه الصحيفة أحاول فيما أعالج الكشف عن خفايا البلد وخباياه، فكان لزاما على أن أجوب الترجمان حارة حارة ودربا دربا حتى اذا أتممت جولتى خرجت أترحم على جدى وأكبر فيه ما فعل ، وأتمنى لو أتيح لى ما أتيح له ؛ وأصحبك فى جولة تشاهد فيها جانبا مما شاهدت .

فهذك غربى بناءى سوق الفاكهة ومصلحة التليفونات وعندملتقى أكبر شارعين فى العاصمة شارع فؤاد الأول وشارع الملكة مازلى تطلع بولاق بأسوإ أحيائها . الترجمان وسوق العصر وعشش القرود وأكواخ القلالية .

سوق العصر وعشش الترجمان :

أما سوق العصر فهو كما تدل عليه تسميته مكان يروج فيه البيع والشراء ، أما ماذا يباع به وما الذى يشتريه الناس منه فهذا ما يهمنا تفصيله لغرابته ، . ذلك بأن بضاعة السوق تقوم على سلع ثلاث : الأول وهى أهمها " الغسيل والأكلمة والملابس والأحذية والمفاتيح وأغطية المجارى وأجراء السيارات والدراجات يجدها "السائر معروضة أمام واجهات الحوانيت هناك كل مصفوف على قطع من الخيش أو الحصير أو محمول على أكتاف المنادين والدلالين . وثالثه الأثاث هى تجارة الفضلات من مخلفات الجيش أو أنقاض القمامة أو عقاب السجاير و بقايا التبغ " التبك " والشاى الذى سبق استعماله بالمقاهى والقواوير الفارغة . وهناك بضاعة لها مكانها فى السوق هى الخبز الجاف مما يأتى به المتسولون ويبيعونه النوبية وأصحاب حانات الجمعة "البوظة" .

فإذا تركت واجهة الحى ودلفت إلى داخله ألفيت نفسك فى طريق ضيقه لا تكاد تقوى على السير فيها لقذارتها وانك لتخطو فيها خطوات معدودات حتى تجدك فى بيئة غريبة اختلط فيها الانسان بالحيوان ، ففيها العنزات والحمير وفيها أوجار القردة كل قرد جوار عشة صاحبه. هذه ياصاحبى مساكن المشتغلين بترويض القردة أو كما يسمونها "عشش القرود".

وقد يكون من المضحكات فى مجال لا نجد فيه غير المبكيات أن نشرك القارئ بعض ما رأينا فى ذلك الحى العجيب . . نقد عن لى أن أدخل إحدى تلك العشش فإذا بصاحبها مشغول بإعطاء الدرس ، . . واستأذنت الأستاذ أن يقبلنى مستمعا بين تلاميذه فلم يخل الرجل بعلمه أن يبذل لقاء ما سددته اليه من الرسوم .

دخلت " الحاصل " والحاصل هو القاعة الكبرى فى تلك البيوت ، دخلته فرأيت فى تلك القاعة قاعة المحاضرات أربعة من الطلبة النجباء، أما أولهم فخمش وثانيهم قرد وثالثهم كلبهم وقد أبى صاحبنا إلا أن يطبق النظم الجامعية كاملة فلم يحرم الفصل من آنسة لطيفة هى عنزة ظريفة تزين الجمع وتثبت احترام مبدأ اختلاط الجنسين ! !

بدأ الدرس وكل طالب جالس فى ركن من أركان القاعة ، وكان الموضوع فى تعليم القرد " التحية باليد " ورغما عن المادة ٨٨ من قانون نظام المدارس فقد كانت العصا هى وسيلة الإيضاح الفريدة ، والضرب هو الأسلوب الوحيد لإدخال الفكرة فى أذهان الطلبة الأذكياء .

واستهل الأستاذ درسه القيم بضرب الحمار آمرا إياه بعمل إشارة السلام . . . فلم يفعل وإذا استحال على الحمار أن يفهم ما يريده صاحبه وأن يرفع حافره بالسلام ضربه ثانيه ثم انتقل الأستاذ إلى العنزة فلم تكن أذكى من زميلها فتبعها بالكتاب وانهال عليه بالضرب الموجع دون أن يصل معه الى نتيجة وكان الرجل حين يضرب الحيوان باليمين يرفع يساره بالسلام حتى اذا انتهى إلى القرد رأينا ذلك الحيوان الذكى يقف على قدميه رافعا يده بالتحية وهو شاخص ببصره إلى عصا أستاذه التى تعلم مما فعلت بغيره غاية الرجل وما يطلبه . . .

والمشتغلون بالترويض فئة بائسة تعمل عملا فيه ترويح لنفوس الناس ، وإذا كان بعضهم يضطره فقره الى سلوك مسلك غير شريف بتدريبه القرد على النشل إلا أن أكثرهم هم وحيواناتهم خليقون بكل عطف وإحسان .

فى جامايكا الترجمان :

وإذا كانت حانة جامايكا كما يصورها الروائيون من أعجب الحانات فليس أعجب من أن نسمى قهوة " المعلم حموده حمص الوطنية " بجامايكا الترجمان .

عرجنا على المقهى إذ أنهكنا التجوال وأضنانا السير ، وقدمنى رفيق المعلم " عبد ربه " إلى إخوانه باسم الأسطى عبده السواق " مهاجر استنجريه وجدع بجبوح وإنسان ..." .

وأردت أن أثبت أنى قد القول فأخبرت الجماعة بأن عليهم الطلب وعلينا الحساب .

وأقبلت على القوم أحدثهم بأسلوبهم عن الإسكندرية والغارات التى شهدناها بها ، وأستمع بدورى إلى أحاديثهم التى تعطينا صورة صادقه لعقلياتهم ونفسياتهم ، فقد تناولنا من الحديث عشرات الموضوعات دون أن تم موضوعا واحدا ، بينما يسألك الواحد عن الحرب ومتى تنتهى يعلق الثانى على سؤاله بأن مولد اسماعيل الأمبابى يأتى قبل مولد أبى العلاء ثم يقفز ثالث فى غير مناسبة ليفسر لك سر تسمية العاصمة بالقاهرة ويرجعه إلى أنها قهرت الدول ، قهرتهم ونكدت عليهم .

ولقد أوقفنى ما سمعته على بعض ما يقوم عليه القوم ، فهؤلاء جماعة من الصعايدة من باعة الفاكهة الجائلين يتحدثون مباهين بالكوامل الذين ينتسبون اليهم . يجاورهم جماعة من الخبازين من العدويه أبناء بنى عديات يتكلمون عن الخلط ووزن الخبز وما فعلوه مع الواد الافندى بتاع التموين ، وهناك على بعد مناقشة حادة يتطاير إلى سمعك بعض عباراتها .

خرجنا من المقهى فى طريق العودة إلى شارع فؤاد الأول ماريز بالقلاية ثم بالمحمرة .

سرنا فى الحوارى أو كما يسمونها العاوات تعلو بنا ، انجاد الطريق وتهبط بأرجلنا وهادها ونحن فى طريقنا لا نجد إلا قذارة ، وشاء لسانى أن ينعك من عقاله فأبدى تأففى مما آذى بصرى وحبس أنفاسى ، وما إن سمع عبد ربه نقدى حتى انقلب على وثار فى وجهى صائحا "وساحة إيه يا أسطى عبده ولما حتتنا وسخه جاى تسكن فيها ليه هنا حاجة مملكه . هنا أحسن من استجريه" . ولم أجد بدا من الانسحاب وحدى تاركا الميدان لابن القلاية ورئيس الترجمان .

أضرار وأخطار :

تضم المناطق التى جلونا أمرها فى هذا المقال نيفا وسبعين ألف نسمة وقد بينا فيما أسلفنا كيف يعيش القوم وعلى ما يقيمون .

ليست المشكلة التى نعالج مشكلة حى ولا أحياء ، بل هى مشكلة جمهور كبير من الشعب ، سكنه وعيشه وصحته ، نمهد لعرضها بهذه الجولات لتكون أقرب الى الحس وأوحى الى التأثير والفهم .

السكن رمز لا يخدع لمستوى الشعب :

يقول مريت بك بطرس غالى فى كتابه "سياسة الغد" : "إن السكن هو العنصر الأساسى فى معيشة الإنسان ، والعلامة الحقيقية على ثروة السكان ورخائهم . والرمز الذى لا يخدع لمستوى الشعب الاجتماعى ، ودرجة حضارته القومية" .

فقل لى بربك أى مستوى أو أية حضارة تلك التى يلمسها الأجنبى فى ديارنا وسكن مواطنينا ، وما قيمة الدعاية تبذل فيها الكثير ، ومساكن الشعب وأحياؤه على هذه الحال .

فتلك النعامة التى تخفى رأسها بين "شبرد" و "الكونتيتنال" يبين جسمها واضحا كبيرا فى دروب البلد التى لا حصر لها .

قلنا غير مرة فى هذا المكان ، ونعود اليوم فنكرر ما قلناه بأن مصيبة السكن فى هذا البلد وآفة تنظيم أحيائه مرجعها فى الغالب الى أمر واحد وسبب لا ثانى له هو نظام الحكر الذى تؤجر بموجبه الأرض للبناء ، وقد ذكرنا أنه لا يرجى لمشكلة السكن حل ما دام نظام الحكر قائما أو بعبارة أصح ما دامت فوضى الحكر فاشية ، فتلك الأحياء التى أطلعتك على ما فيها تقوم كلها على أرض محكرة ، فالترجمان حكر لوزارة الأوقاف ، وحى القلاية حكر لبطريركية الأقباط ويتقاضى وقف الترجمان من صاحب البناء قرشا كل شهر عن المتر المربع أما البطريركية فتفرض على المالك ثمانية مليمات للمتر فى الشهر ، وما دامت الأرض ملكا لغير البانى فلا سبيل ولا أمل فى أن نرى غير العشش والأكواخ .

وفى مقالنا " على ضفاف النيل " عرضنا لمشكلة الحكر وقدمنا بين يدى ولاة الأمور حلها هينا ميسورا ، وما أيسر الأدواء تعالج بما لا يمس الخزانة ولا يرهق الميزانية ، فما على الحكومة الا أن تصدر تشريعا تحرم به البناء فى الأراضى المؤجرة أو بعبارة أخرى تجمد بجرة قلم فوضى الحكر وتريح البلد من شروره .

أما المبانى القائمة الآن بالأراضى المحكرة فإنا نرى أن تؤلف لجنة من ممثلين لمصالح الأملاك والتنظيم والمساحة ومندوبين من وزارة الأوقاف والصحة والشؤون الاجتماعية لتقدير أثمانها وتحديد مساحات مواقعها وأعداد السبيل لإبدالها بما يعادل قيمتها بأملاك الدولة فى أطراف المدينة عند الجبل الأحمر أو فى أبى زعبل حيث أقيمت نواة مدينة العمال الجديدة حيث تقيم الأوقاف بمعونة الحكومة و إشرافها مساكن للفقراء ، مساكن صحية فى شوارع منظمة تؤجر الى الأهلين بأجور زهيدة على ألا يهدم القديم الا بعد بناء الجديد .

وقد يحسب البعض أن مشروعا كهذا سوف يكلف الخزانة مبالغ لا قبل لها باحتمالها وخاصة فى مثل ظروفنا الحاضرة ، والواقع أن الحكومة لن تتكبد فى هـذا إلا النزر اليسير . ذلك لأن الأراضى المحكرة فى بولاق سواء فى داخل الحى أو على ضفاف النيل كلها ذات موقع ممتاز فهى تجاور أكبر شارعين فى العاصمة فؤاد الأول والملكة نازلى ولم يخسها قدرها سوى فساد تنظيمها وسوء مبانيها ، فلو أن الحكومة استولت عليها وهدمتها لباعتها بما لا يقل عن خمسة أضعاف الثمن الذى ستقدره لها . فإذا راعينا أنها لن تخرج هذا الثمن نقدا من خزينتها و إنما ستعطى به الأوقاف أرضا من أملاكها ، وجدنا أن فى مقدورها أن تقوم بمشروع بناء أحياء جديدة بالتعاون مع وزارة الأوقاف التى ستتولى استغلال تلك الأحياء لحسابها .

وقيمة أراضى بولاق وموقعها الممتاز لا يخفيان على أحد ، وقد سبق أن طلبت بعض الشركات العقارية بيعها المناطق التى أشرنا إليها فى هذا المقال ، ولكن عقد الوقف من جانب وتراخى الأداة الحكومية من جانب آخر حالا دون إجابة هذا الطلب .

ثم ماذا . . .

ثم انهم يقولون إن بالبلد مشكلات ومشكلات كما يصفونها شائكات . . هل آن لنا أن نجدد البالى ونقيم صدع الواهى . إنه ليسؤونا أن نغفل والعالم يعمل ، وأن نقف جامدين والقافلة تسير .

محمد عبد الكريم

نشـيد

دار كفالة الفتـاة

نظم الاستاذ الصاوى على شعلان

مدرس الإصلاحيات

تلحين الأستاذ محمد صلاح الدين

مفتش الموسيق بالمعارف

دار الكفالة داري روض كريم الثمار
بالصون فيها وقاري والعلم فيها منارى

فيها (المروءة) تسمو فيها جلال (العفاف)
روض (السعادة) ينمو فى (رحمة) وائتلاف
فيها (الأمل) يحيي القلوب
أعلى مثل بين الشعوب
نور الفكر فيها ونام
عيش الأسر فيها سلام

إن أنشأ الطير وكرا بين الربى والنسيم
فالبيت نبنيه قصرا يعلوه صفو النعيم
صنع الطعام وشى الثياب
حسن النظام للخير باب
بين الأبر أوق الكتاب
نرجو الثمر نجنى اللباب

مستقبل يتسامى للخير دنيا ودينا
نحيا بمصر كراما فى نهضة المصلحينا
صوت الزمن يدعو الفتاة
نحو الوطن نحو الحياة
فى الاجتهاد نحيي علاه
بالاتحاد نرضى الإله

أهم الأمراض الاجتماعية

فى العصر الحديث

لا ينسى أى باحث فى الأمراض الاجتماعية فى العصر الحديث أن مصر بلاد زراعية وأن ثمانية أعشار السكان من الفلاحين يعملون فى الأرض لأنها مصدر رزقهم الأوحد ، ونتيجة هذه الحقيقة الاجتماعية هى أن كبرى طبقات الشعب هى الفلاحون وهم بإجماع آراء الباحثين يعانون فقرا مدقعا مريعا . وقد بذلت الحكومة جهودا كبيرة فى تحسين أحوالهم وإصلاح حياتهم وعلاج أمراضهم . ولكن الأسباب المتراكمة من أجيال طويلة لا تخضع للعلاج السريع ، ولا تثمر الثمرة المطلوبة فى وقت قصير . وهذا أقوى عذر حيال الشكاوى المتكررة . فإن محصول الأرض فى حاجة إلى الزيادة ، ولا العلل الصحية تجد ما يقى منها ويمنعها عن مهاجمة الفلاح لأنه لا يجد من الوسائل الصحية ما يحميه من شر الأمراض المتوطنة والدخيلة ، وكذلك معظمهم محرومون من التعليم والتهذيب ، مع أن الذين يتعلمون منهم ويسيرون إلى آخر درجات التعليم ينبعون نبوغا مدهشا ويثبتون بأعمالهم أنهم حليقون بكل عناية . وأى نفقة مهما كثرت فإنها تؤتى أكلها وتعقب فوائد سارة ثابتة وان كانت ميزانية الدولة تضيق عن أن تتسع لإرضاء الكل فى آن واحد .

وبجانب الفلاحين توجد طوائف العمال المتعطلين فى المدن والعواصم وهم فى حالة تستدعى العطف عليهم ، وفيهم المتعلمون تعليما كاملا أو ناقصا . ثم تأتى طائفة الموظفين وهؤلاء لا يمكن الاستغناء عنهم لازدياد مهام الدولة ولأن الوظائف الفنية والنظامية والخارجة عن الهيأة لا زيادة فيها ولا سبيل لحذف شىء منها ، فلم يبق سوى الوظائف الادارية والكتابية ، فهذه يمكن الاستغناء عن قسم منها عند ما يبلغ الموظف الزائد عن الحاجة سن الإحالة على المعاش . وهذا عمل يدل على التنور والعدل لأنه يمكن من استخدام الذين لم يبلغوا السن فى الوظائف الجديدة التى يحتاجها الإصلاح .

وكل ناظر فى إصلاح حال الفلاحين والعمال والموظفين لا يمكنه أن يغفل الحالة الاقتصادية العالمية ، فان الأزمة بل الأزمات التى سببتها الحرب العالمية أدت الى الكساد

والغلاء وفقد قيمة الحاجات لهبوط النقد وعدم وجود البضائع ، أو ارتفاع أثمانها ارتفاعا مدهشا . وقد عالجت الحكومة هذه الحالة بالتسعير الجبرى تخففت من وطأة الغلاء ومن أطماع المتجرين والمحتكرين الذين يريدون أن يصلوا إلى الثراء بأقرب طريق وأسرع فرصة . وقد تعطلت بسبب أزمات الحرب طوائف بأسرها كطائفة المعمار وفيها البناءون والمقا والنجارون والحدادون وعمال الأسمنت المسلح والبياض والزجاج والبلاط والأثاث. وارتفعت أثمان بعض الحاجيات خصوصا الحديد والخشب والأسمنت والزجاج ارتفاعا فاحشا ، كما ارتفعت أشياء بالتبعية كالصلب وغيره من المعادن تبعا لارتفاع الذهب .

ولا يفوت عن ذهننا ونحن نعالج هذه الناحية المهمة أن الانتعاش الاقتصادى الذى حدث فى العالم قبل الحرب (سنة ١٩٣٨) مباشرة إنما كان سببه نجاح الصناعات ورواجها . ومصر وإن كانت دخلت مضمار الصناعة منذ ثلاثين أو أربعين عاما إلا أنها لا تزال بلادا زراعية عمد معظم أهلها فى أرزاقهم ورواجهم الى الزراعة ومنتجات الأرض ، ولهذا لم ينلها من الانتعاش الاقتصادى الناشئ عن رواج الصناعات إلا جزء يسير . وقد زاد المال المتداول حتى بلغ خمسة وسبعين مليونا من أوراق النقد وإن يكن فى سنة ١٩٣٨ لم يتجاوز عدة ملايين ولا يزال إيراد مكان مصر فى السنة مائة وثمانين مليونا يخص الفرد منها حوالى أحد عشر جنيها فى العام ، بينما توجد بلاد صناعية تبلغ فيها حصة الفرد نحوا من مائة جنيه بقطع النظر عن الاختلاف فى عدد السكان أو مصدر الثروة ، فكأن مستوى الحياة عند الفرد المصرى لا يبلغ أكثر من عشر ما يبلغه عند الأمم القوية الناجحة . وإذا أضفنا إلى ذلك أن الأحد عشر جنيها لا تصيب كل فرد بانتظام ومساواة ، بل قد يبلغ ثلث السكان أو ربعهم معظم الإيراد فيحدث أن يكون إيراد أحدهم بضعة آلاف وبضعة ملايين يكون إيرادهم متراوحا بين ثلاثة جنيهات أو أربعة ، وقد ينحدر إلى أقل من ذلك. ومن أهم مصادر الثروة فى بلاد أوروبا وبعض بلاد الشرق — كتركيا — ضريبة التركات التى لم تفز بالنجاح فى مصر إلى الآن مع أن التفكير قد شملها منذ بضع سنين ، وكانت خليقة بالعناية التى لحقت غيرها من الضرائب كضريبة التمغة . وضريبة ثالثة واجبة الفرض وهى الضريبة على الدخل ، وقد رأينا أن بريطانيا العظمى قد توسعت فى هذه الضريبة توسعا مثمرا حتى صار أصحاب رءوس الأموال والإيرادات الضخمة لا يستولون إلا على شلن وستة بنسات من الجنيه الواحد . وهذا شىء غريب بالطبع ، ولكن شذوذ حالة الحرب قد أدى إليه . نعم ان ضريبة التركات

وضريبة الايرادات تسوء كثيرا من الملاك وأصحاب رؤوس الأموال ، ولكنها فى الوقت نفسه تشمل المصارف والشركات الكبرى التى استفادت فوائد جمة منذ عشرات السنين ، فليس من الصعب عليها أن تتحمل الآن بعض النفقات فى سبيل معونة مصر . لأنه لولا مصر وأرض مصر وشعب مصر ما تمكنت تلك الشركات والمصارف أن تربح الملايين العديدة فى كل عام وتوزع على أعضائها إيرادا ضخما ضخما وهم وراء البحار فيستمتعون بأطايب الحياة ، فلا بأس أن يدفعوا شيئا ولو من قبيل الزكاة عن حياتهم وأموالهم ، ولو طبقت الحكومة قانون التركات على بضعة نفر ممن توفوا فى مصر فى العشر سنوات الأخيرة لدخل إلى خزانتها عشرة ملايين من الجنيهات على أقل تقدير . وهو مبلغ لا يستهان به فى تخفيف الأزمة الحالية .

ومنذ بضع سنين نشر الدكتور كليلاند رئيس قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية بمصر كتابا اسمه سكان مصر وحلل فيه المسألة الاقتصادية بالنسبة الى المقيمين فى وادى النيل وبالنظر الى تكاثر النسل ، فان سكان هذا الوادى الذين كان عددهم عشرة ملايين منذ أربعين عاما صاروا الآن ثمانية عشر أو تسعة عشر مليونا (١٩٣٧) وهم فى سنة ١٩٤٧ موعد التعداد المقبل سيبلغون عشرين أو اثنين وعشرين مليونا ، وحياة الأمم ليست كحياة الأفراد يجب أن يعمل حساب المستقبل فيها أكثر من عمل حساب الحاضر . فيجب تضافر الأمة والحكومة على فتح أبواب العمل والرزق فى وجه كل فرد من أفراد الأمة ، وإزالة العلو والمبالغة فى الفوارق التى ينتج منها الاضطراب الاجتماعى وخلاف الطبقات بسبب التزاحم والتنازع . نعم إن التزاحم والتناحر موجودان فى الطبيعة والاجتماع . ولكن واجب قادة الأمم تخفيف وطأتهما ومقاومة الإغراق فيهما حفظا للوحدة وحرصا على حياة المجتمع .

وفى جميع الكتب المنزلة حض وحث ونصح صريح بالتعاون والمساعدة . ففى القرآن الكريم يوصف من أحيا نفسا واحدة بأنه أحيا الناس جميعا ، ومن قتل نفسا واحدة كأنه أمات الناس جميعا ، وكذلك جاء دين عيسى بالسماح والإحسان والصدقة والأخذ بيد الفقير والضعيف وأوصى بحسن معاملة اليتيم والسائل . كما أوصى القرآن الكريم بعده بتسعمائة سنة . أما الدين الإسرائيلى ففيه نصوص صريحة على ألسنة أنبيائه وملوكه . انظر الى ما قاله سيدنا سليمان الحكيم الذى كان ملكا وقاضيا ونبيا وفيلسوفا فى مناجاة ربه بشجاعة مأثورة : "اثنين

سألت منك فلا تمنعهما عنى قبل أن أموت : أبعد عنى الباطل والكذب ، لا تعطنى فقرا ولا غنى ، أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب ، أو لئلا أفتقر وأسرق وأتخذ اسم الله باطلا " .

فهو يأبى الغنى الكثير لأنه يبطر الإنسان كما هو مشاهد بين ظهرانينا حتى إن أصحاب الغنى الكثير لم يبطروا فحسب ، بل أعرضوا عن حالة المجتمع بينما كان رجل اسرائيلى انجليزى هو المستر " فينى " المتوفى أخيرا فى جنوب أفريقا يتبرع للجمعيات الإسلامية فى الاسكندرية البلد الذى ولد فيه ورزق فيه رزقا واسعا بعشرات ألوف الجنيهات كما قيل عنه بلسان رئيس جمعية المواساة الإسلامية .

ورجل أجنبى آخر هو المحسن الكبير المسيو تيودور كوتسيكا الذى لا يترك فرصة تمر إلا ويجود بآلاف الجنيهات فى سبيل الخير .

قيل إن الأزمة الاقتصادية تنتاب مصر فى كل سبع سنوات مرة ، وكان أولها فى العصر الحديث فى سنة ١٩٠٧ وقد امتدت هذه الأزمة إلى سنة ١٩١٤ عندما حدثت الحرب العالمية كان يسر ورخاء بسبب ابتعاد مصر عن ميادين القتال ، ثم بدأت أزمة فى سنة ١٩٢١ أكلت الأخضر واليابس وامتدت إلى سنة ١٩٢٨ ، ثم ضيقت الخناق على مصر وكان من أهم أعراضها شىء جديد لم تره مصر من قبل وهو العطل عن العمل . وكانت بعض دول أوربا قد اتخذت خططا لمحاربة العطل . وابتدأ ميزان الحياة يخل فى العالم لظهور مبادئ جديدة فى سياسة الحكم بين إيثار الفرد واستئثاره ، وكادت حرية الفرد تفنى بين المذهبين ، فالأعمال التى كانت حرية الفرد فيها مضمونة مكفولة أصابتها علة العطل والكساد الصناعى والاقتصادى والممالك التى كانت فيها حرية الفرد مخنوقة ، ضاع فيها مع حقوقه ضياعا تاما . وقد تأثرت مصر بالحالتين بسبب اتصالها المباشر والمستمر بالعالم الأوربى والأمريكى ، ولأن الحالة الاقتصادية كالحجر الذى تلقى به وسط بركة ماء ليخلق موجات مستديرة ، تتسع حتى تصل إلى أقصى البركة ولا يحدها إلا الدفة أو الشاطئ . وكانت مصر داخل حدود هذه البركة أو البحيرة فامتدت إليها الأمواج .

وقد أثبت الباحثون العمليون أن الحالة الاقتصادية تعالج قبل استفحالها لئلا تصير داء مزمنا يستعصى على المصلحين علاجه . ومما لفت انظار العالم منذ بضع سنين ، أن علة العطل لم تشمل أصحاب الصناعات اليدوية وحدهم ، بل شملت أصحاب الأعمال بعقولهم كالموظفين والموسيقيين والمؤلفين والمحررين والمحامين والأطباء والمهندسين ، حتى بلغوا

فى فرنسا وحدها عشرين ألفا، أى حوالى النصف من مجموعهم، و بلغوا فى بعض بلاد أوربا الشرقية مائتى ألف من ستماية ألف ، أى الثلث كما هى الحاصل فى فرنسا . وقد علمنا أن كثيرا من الأطباء فى أنحاء العالم يعانون أحوالا شديدة من العطل مع شدة الحاجة إليهم ، وذلك مع وفرة المرضى فى كل مكان . وانتشار الأدواء والعلل بسبب الحياة الاجتماعية ، ولكن الأطباء المنفردين قد تعطلوا بسبب مزاحمة العيادات المجانية التى لجأ اليها معظم الأهالى بسبب فعل الأزمة واستمرارها ، وفى كل من فرنسا و بريطانيا قوانين تلزم أهل الخط بعلاج مرضاه ، والقرية بعلاج مرضاها ، وصاحب العمل أو المصنع بمعونة عماله وأهلهم فى حالات المرض بالعلاج وتوفير الأدوية والأغذية . ولكن فى مصر لم تشرع أمثال هذه القوانين ولم تنفذ إلا فى أحوال خاصة كالوحدات الصحية فى القرى . وفى بعض المدارس ، وان يكن أثرها غير ظاهر . وقد رأينا فى مصر وفى أوربا بعض المنتسبين لصناعة الطب يتهمون إن حقا و إن باطلا بالتساهل مع المدنيين فى صرف تذاكر المخدرات باسم التداوى من التى كانت هى الداء .

ولا بد أن يكون للأزمة الطبية دخل فى هذه المسألة الأليمة ، فان الفاقة تدفع بالرجل الطيب وصاحب العلم والغنى لارتكاب المنكرات كما قال سيدنا سليمان الحكيم وهو كما قلنا ملك ونبى ، وملك سليمان يضرب به المثل فى القرآن والتوراة ، فقد كان له سلطان دينى ودنيوى على الريح والجن والانس والحيوان . ومع كل ذلك النفوذ الهائل قال لربه فى المناجاة : " لا تفقرنى فاسرق واتخذ اسم الله باطلا " وقال الامام على كرم الله وجهه : " لو كان الفقر رجلا لقتلته " ومن دعوات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " نعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر " ... ...

تشجيع الإنتاج العلمى والعقلى

محاضرة ألقاها من محطة الإذاعة اللاسلكية حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى الصاوى

حضرات المستمعين الكرام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإنى أستأنف الحديث إليكم فى شأن يتصل بحياتنا والنهوض بها اتصالا وثيقا . ذلكم هو تشجيع الإنتاج العلمى والعقلى . ذلك التشجيع الذى لابد منه لحياة الإنسانية وسعادة البشرية . فما من شك فى أن نهضات الشعوب وارتقاء الأمم . وسعادة الدول ليست ميراثا يكتسب أو هبة تعطى. وإنما هى أشياء لحظها من العلم وما أوتيت من قسط فى الثقافات والمعارف ونتائج لما وهبت من العقل والإدراك . فعلى مقدار العقل والعلم تكون السعادة والنهوض ... ... ونحن كأمة نريد النهوض ونبغى الاعتلاء لا يتحقق لنا مانهدف إليه من تلك الغايات النبيلة إلا من طريق العقل والعلم فلا بد من توفرهما لدينا وذلك لايكون إلا بتشجيع العلم والعقل فى نفوس العلماء والعقلاء . وإلا نفعل فقد منينا بالخيبة والفشل وأصبحنا فى مدرجة الأيام أخلافا نبذتها الحياة . ولقاء طرحه التاريخ ...

سيداتى سادتى : يجدر بى وأنا أتحدث عن تشجيع العلماء أن آتى على إلمامة موجزة من تاريخ العلم والإنسانية لأبين مقدار الصلة بينهما أولا ولنعرف مقدار الفائدة التى جنتها الإنسانية من مصاحبتها للعلم ، وشديد حاجة الإنسانية إلى العلم والعقل فأقول : تفتحت أعين الحياة على الإنسانية وليدة تحبو إلى غير غاية وتضرب على غير هدى : تسير بين أشواك الطبيعة القاسية تنهض مرة وتكبو أخرى وهى فى كلتا حالتيها تأخذ العبرة تلو العبرة . وكلما امتد بها الزمن أفادت من ماضيها وحاضرها دستور مستقبلها . وناموس مآلها ... ... ثم أخذت تتوسل الى مآربها المتكاثرة بشتى الوسائل حتى كانت حياتها بهذا الاعتبار جملة مناطق مختلفات . فمن مطقة العصر الحجرى ، الى البخارى ، والكهربائى إلى هذا العصر الأخير . عصر الطيران والتلفزة والمدهشات من المخترعات : ألم يكن كل ذلك بالاستناد الى العلم . وبإرشاد ذلك العلم . العلم الذى أخضع الأشياء لقوانين أسلمها الى الإنسانية . فبها استطاعت تسخير الكائنات لإرادتها . فسيرت الجوارى فى البحر كالأعلام . والطائرات فى الجو نسورا قشاعم . والغائصات تحت شبح البحار حيتانا سابحات تطفو مرة وتغوص طورا مسترشدة

بقوانين العلم ونظمه . واغتصبت الجو مطوياته ، والأثير مكنوناته ، وانتزعت أسرار هذا وذاك بآلة تعرك أذنها فتبوح لها بما حملت من أسرار . ثم تدغدغ صدرها فتشركها مع مجالس الأنس والنغم الرخيم فى مختلف الأقاليم النائيات ، والمسافة بينهما آلاف الأميال . ولم تقف همة العلم عند هذا الحد بل طفر بالانسانية فى وثبة سريعة فتلفز لها ذلك حتى لقد أصبح الشرق يشهد محدثه الغربى إذ يتحدث اليه كأنهما بمجلس واحد . وما يدرينا ماذا سيطلع به العلم على الناس بعد من إنتاج .

حضرات المستمعين الكرام : بما ذكرت علم أن الإنسانية فى جميع أطوارها كانت ترتكز على العقل وتسترشد بالعلم . ولهذا نجحت هذا النجاح البادى فى كل مظاهرها . وأن العلم هو الذى تدرج بها فى مدارج الارتقاء حتى أوصلها الذروة القصوى التى تنعم بها الآن . فمن سكنى الكهوف . واتخاذ المدى والسيوف من الأحجار وقطع شاسع المسافات سيرا على الأقدام الى سكنى القصور المؤسسة بالوثير . وامتطاء القطر الضخمة . والسفن الضخمة والسيارات المطهمة . والطائرات التى تحدت السحاب واستطالت على الأثير . وشاركت الكواكب فى أبراجها . ومن الاستضاءة بالذبالة إلى الكهرباء الشعاع . والمغنسيوم ذى النور الباهر والضوء اللماع ، وما كان ذلك كله إلا بفضل العلم وإرشاد العقل .

على ضوء ماسردت من فضل العقل والعلم على الإنسانية وما قدما للبشرية من عون وقيادتهما إياها فى مهامه الحياة الوعرة وتدرجهما بها فى الإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة أعتقد أنكم قد قدرتم للعقل والعلم فضلا مشهورا وجميلا لاينكر ، وهل هناك تقدير للعلم وتكريم له إلا بتكريم رسله ، وحاملى لوائه وناشرى فضله ، وهل معنى هذا إلا تكريم العلماء وتقديرهم ، وهل لتكريمهم معنى سوى تشجيعهم بشتى أنواع التشجيع ، كى يتفرغوا للإنتاج النافع والابتكار المفيد ، وليطلعوا على الناس بإنتاج يجعل الانسانية فى رخاء من العيش . ومنعة من السعادة الدائمة وليحيوا حياة مستقرة ثابتة . وذلك ماندعو اليه وهو المعنى لنا بهذا الحديث .

إن العلماء هم قادة الأمم ، وهداة الشعوب ، وأئمة الانسانية وحداة ركب البشرية ينكبونها وعر الطريق ويسلكون بها معبد السبل ويدفعون بها فى حكمة حكيمة إلى الخير دفعا . وهم (بارومتر) الإحساس الاجتماعى يشعرون بالمؤلم يتجه الى الشعب فيثورون ، وهم نواقس الخطر تجلجل وتدوى حين يحسون الشر زاحفا على الانسانية فينبهون الغافل ويوقظون الوسنان . فلهذا وجب تكريمهم وتشجيعهم كى يستمروا فى أداء رسالتهم وينهضوا بتلك الانسانية المتقاعسة ويدفعونها الى أرقى مستوى تحت القبة الزرقاء ، ألم تر إلى ربك جلت قدرته وقد نوه بذكرهم فى كتابه إذ يقول لنبيه عليه السلام (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ) وإذ يقول (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا) .

سادتى سيداتى — يؤسفنى وأنا أتحدث عن فضل العلم وعظيم رسالة العلماء أولى الأفكار الخالدات التى عادت على الإنسانية بالخير الوفير أن أذكر طرفا من الوقائع التى حصلت بين الإنسانية والعلم . تلقى الضوء على ما كان يحصل من الإساءات المتكررة من الإنسانية الى العلماء فى الوقت الذى كانوا فيه دائبين على العمل لخيرها وإسعادها، وكان أحرى بهم أن يكونوا لهم شاكرين .

هذا السيد نوح نبى الله ورسوله بعث الى قوم مرضى بالأنانية والأثرة والتحلل الاجتماعى والانحراف عن جادة الأخلاق الكريمة فدعاهم الى فكرة إصلاح اجتماعية تجعل من بدائدهم أمة هائلة متضامنة متآزرة توحد ربها وتسير فى سبيل سعادتها فى الحياتين فوضعوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ... ثم افتنوا فى إيذائه ... وسخروا منه فلم تعقه تلك الأراجيف عن الاستمرار فى دعوته والعمل على نشر رسالته حتى آمن به عدد قليل وظلوا فى عنادهم وتمردهم حتى جاء أمر الله وفار التنور ونزل السماء بماء منهمر فالتقى الماء على أمر قد قدر، ولم ينج من الطوفان إلا من آمن بنوح وركب السفينة وحتى ابن نوح كان المغرقين .

وهذا السيد موسى بن عمران طلع على أمة نشأ فيها مرض التخاذل والانقسام وعبادة الأوثان وتمكنت منهم الأنانية ولم يعن أحد بشأن أخيه فكانوا وحوشا تصطرع فى ضراوة حتى كانت الحياة لديهم جحيما مستعرا فلعنهم الله لعنة خالدة وسجل ذلك عليهم فى كتابه إذ يقول لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ) ولقد تحدوا السيد موسى إذ يقولون له (لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ) وكان خيرا لهؤلاء أن يكونوا بموسى مؤمنين ...

وهذا السيد عيسى ابن مريم دعا قومه الى العمل بفكرة تهذيبية روحية هى جمع الناس على مائدة الصفاء والوئام والتسامح ، فكان منهم التحدى والنفرة . وقابلوه بالسخط والإيذاء حتى أنهم هموا بقتله فحفظه خالقه الذى أرسله لهدايتهم وليكون رحمة لهم فلم يعن بهم ولم تمنعه عن نشر رسالته تلك الصيحات الراعدة ولا زمجرة المزمجرين .

وهذا سيدنا محمد بن عبد الله . . جاء الى الناس بدعوة التوحيد ، وإحلال الفضيلة محل الرذيلة والوئام مكان التفرق والخصام ، والى محو الفوارق بين الناس ليحقق لهم

ديموقراطيـة اليسر والسعادة ، و إلى نشر السلام بين تلك الإنسانيـة المتباغضة المشتجرة المحتفظة وتوجيهها إلى طريق الإخاء والتحرر من عادات الجاهلية التى جعلت الحياة وقتئذ نوعا من الفوضى المهلكة القتالة .

دعا الناس إلى معرفة خالقهم وتوحيـده أولا . . ثم الى إحسان الصلات بينهم و بين بعضهم ثانيا إحسانا يقطعون به مراحل الحياة الشاقة فى طمأنينة واستقرار فرمز لهم بالصلاة و وضوئها واستقبال القبلة فيهـا إلى تنظيم حياتهم بتطهير نفوسهم واتحـاد قلوبهم ووجوب الأهدف فى كل شؤونهم وتحتيم الاتحـاد فى جميع أمورهم ، و بالحج والطواف فيه والوقوف بعرفة إلى اتباع الآداب العامة أولا والى توحيد الصفوف و جمع الكلمة ، وذلك لا يكون إلا بمؤتمر يضم شتيتهم كالوقوف بعرفات ، و بالزكاة الى وجوب ترقيق العواطف و إرهاف الأحاسيس ، و بالصوم الى التجلد وقوة الإرادة وضبط النفس وتحرى المواقيت فى العهود والوعود والمواثيق . ذلك ليجعل من عصره كتلة واحدة متماسكة البنيان متينة الأركان ، تعبد ربا واحدا وتستقبل قبلة واحدة وتهدف مجتمعة الى غرض واحد ، تعتنق الفضيلة ، وتترك أدران الجاهلية الأولى ، فما كان من الانسانية حينئذ إلا الإعراض والصد والتحدى . ولقـد كذبوه فى دعوى الرسالة والتنزيل إذ قالوا عن القرآن مرة إنه سحر مبين وأخرى إنه أساطير الأولين . . وأوصى بعضهم بعضا " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيـه لعلكم تغلبون". فما فتر كل ذلك من همته ، ولا أوهن من عزيمته بل استمر دائبا على دعوته حتى جعل من بدائد العرب وأخلاف التاريخ وشذاذ الأمم دولة فتية قوية الإيمان ذات دستور ونظام وملك عضود وذكر شرود .

سادتى سيداتى — سأترك أمر الأنبياء جانبا وأعرض على مسامعكم مثلا أخرى ممـا لاقاه العلماء من العنت من الناس فى الوقت الذى يحترقون فيه لإسعادهم .

ها هو ذا العالم البحاثة الكبير . والطبيب المـاهر (سرفينوس) قد أحرقه قومه لأنه شرح جثة ميت حار الطب فى علاجه ليعرف سبب استعصاء ذلك الداء على العلاج . وها هى ذى الإنسانية التى حكمت بإحراقه ساعتئذ تقرر الآن وجوب تشريح جثث النـاس لأقل مناسبة ولأتفه الأسباب .

وها هو ذا العالم الفلكى الكبير (جاليلو) ، قد قضى عليه بالسجن الدائم جزاء تقريره نظريته العلمية (إثبات دوران الأرض حول الشمس) وقد أصبحت تلك النظريات من المقررات المجمع عليها .

وأقدم لحضراتكم — سادتى — ذلك العالم الفلكى (لوفن هوك) مكتشف الجراثيم لمرضية فانه قد نعت بالجنون ، وعذب عذابا شديدا لأنه حاول أن يثبت أن هناك عالمـا آخر هو عالم الميكروب ، وهذا هو المجهر (الميكرسكوب) يرينا هذا العالم رأى العين .

وما من واحد من هؤلاء العلماء إلا وقد قدم للإنسانية خيرا عظيما ، وإنتاجا مفيدا ، وما منهم من أحد إلا وقد لاقى عنتا شديد وإحراجا مبينا وعذابا أليما ، وما منهم من أحد عاقته تلك العقبات ، ولا أخرته عن النفوذ إلى غرضه تلك الصيحات . وهذا قليل من كثير من عبر التاريخ ، ولقد صدق الشاعر إذ يقول والجاهلون لأهل العلم أعداء . وفي المثل (ويل للعالم من الجاهل) . فلو أن الناس تركوا المواهب تعمل عملها والكفايات تؤتي ثمرها لارتقت الإنسانية في حضاراتها إلى أضعاف ما هي عليه الآن آلاف المرات ، ولكنه الجهل ولكنه الحقد ، ولكنه الحسد ، أمراض قد رانت على قلوب الناس فأصمتهم وأعمت أبصارهم فلم ينفذ نور العرفان إلى قلوبهم ولم يجد صوت الحق إلى أفئدتهم سبيلا .

لقد بلغت عداوة الناس للعلم والعلماء حدا بعيدا . حدثنا التاريخ أن نفرا من الانجليز أوتوا مواهب ممتازة ، وفطروا على حب الإصلاح الاجتماعي قد أحسوا مرارة الحال في الشعب ورأوا المجتمع الانجليزي عرضة لأمراض تنوشه من كل جانب ، ولم تعن الحكومة الزمنية يومئذ بعلاج تلك الحال ، فأنشأوا مدرسة أسموها المدرسة المستترة ، ظلت تعمل تلك المدرسة في خفاء لإنقاذ الشعب مما حاق به ولإسعاده وقتا طويلا فأنتجت إنتاجا عظيما .

لماذا تستتر تلك المدرسة : ولماذا تعمل في خفاء ؟

ما كان استتارها واختفاؤها إلا خوف رجالها من التشريد والقتل والإهلاك . وما كان خوفهم ذلك احتفاظا بذواتهم وإبقاء على أنفسهم وإنما كان لحرصهم على إنتاج يفيد الشعب وعمل ينقذه ، فكان اختفاؤهم في الواقع إنما هو لإنقاذ الشعب الذي يتجه إليهم بالتعذيب والتشريد . فانظروا حضرات المستمعين إلى الاتجاهين ، وفرقوا بين العقلين ، واحكموا بعد ذلك بما تشاءون .

ما أعلنت تلك المدرسة عن وجودها إلا يوم أن بدأ ثمرها جنيا وعرفه الناس . وآمنوا بالفكرة وتهيأ الناس لقبولها وتولى الملك شارل الثاني الذي كان من أنصار العلم والعلماء .

كان من رجال تلك المدرسة (روبرت بويل) و (اسحاق نيوتن) و (لوفن هوك) وأمثال هؤلاء الأفذاذ من أبطال العلم ورجال التاريخ . الذين كانوا للبشرية خير ملاذ ولا تزال الانسانية تنعم بانتاجهم إلى الآن .

إنك أيها السامع الكريم لو عرفت مقدار ما صادف هؤلاء من ازدراء العامة ، وسخرية الخاصة ووقوف الحكومات الزمنية حينئذ في وجوههم موقف الصائد المانع والمنتقم المعاقب .

ولو عرفت أنهم كانوا فى نظر شريعة ذلك الزمان من المجرمين الذين يستأهلون العقاب . ثم عرفت مقدار اندفاعهم فى العمل على تحقيق فكرتهم . والعمل على إبرازها مهما لاقوا فى سبيلها : لحكمت حكما حازما بأن الغابرين منهم يجب تخليد ذكراهم على وجه الزمان وأن الحاضرين من أمثال أولئك العلماء يجب تشجيعهم بكل أنواع التشجيع .

أولئك هم الأبطال الذين آمنوا بفكرة نافعة ظنها الناس من تهاويل الخيال ومبالغاته فكان بينهم وبين الناس شقة خلاف واسعة فهؤلاء مؤمنون بقضيتهم وأولئك لايعتقدون تحقيقها فكان هذا الحال المؤلم ، وتلك هى حجية البشرية وطبيعة الانسانية مع كل المصلحين الاجتماعيين :

لايجهل أحد فضل باستور ومزايا منتجاته . ولا بلهارس ورسالته وماصادفهما من عقبات وما تحملا فى طريقهما من آلام وكيف والعالم كله يتمتع بإنتاجهما ويحيا حياة طيبة بسبب ما أتوا من جميل أوذوا فى سبيله .

ومالنا أيها السادة نذهب بعيدا ونضرب المثل بالأنبياء أولا وبعلماء الغرب ثانيا . ولدينا فى الشرق من المثل ماينهض دليلا على صحة ماذهبنا اليه .

عندنا الأستاذ جمال الدين الأفغانى فقد كان داعية الى الخير مرشدا الى الاصلاح ومع هذا فقد كانت حياته سلسلة من الآلام متصلة الحلقات . وعندنا تلميذه الأستاذ الامام محمد عبده الذى فكر فى إصلاح المجتمع الشرقى ، وفى وضع حياته على نظام صحيح سليم يستمد نظمه من تشريعات السماء قد رمى بالإلحاد والزندقة وحورب وبا شعواء . فاستقبلها ساخرا وهزأ بقادتها . واندفع فى إيمان واثق إلى تحقيق غرضه ، وها نحن أولاء ننعم بانتاجه وثمرات أفكاره وبانتاج من خلفه أمام أمثال الأستاذ البشرى والنواوى وعندنا المغفور له (سعد زغلول باشا) فكم جاهد وكافح وناضل يريد تكوين شعب مجيد ، وتأسيس دولة قوية على دعائم الأخلاق الكريمة وفضيلة القوة النفسية . وكم سعى جاهد ، قد لاقى فى سبيل دعوته وإنفاذ فكرته من محاكمات ونفى وتشريد واعتقال ما لايستطيع إنسان آخر أن يتحمله ، ولكنه كان يستعذب هذا ويرى الهوان فى سبيل إنقاذ شعبه أمرا لابد منه . وظل يعمل حتى بلغ غايته وحققها للناس من استقلال وحرية وكرامة .

إن من ذكرت من أولئك الأبطال فى مختلف العصور الذين عاداهم الناس ولم يشجعوهم قد قدموا للانسانية مع كل هذا إنتاجا فكريا أوصلها إلى ماهى عليه الآن من حضارة وعزة ومجد . أئذا شجعهم معاصروهم على تنفيذ أغراضهم ، وساعدوهم على إبراز فكرهم كانوا يقفون عند هذا الحد ؟

والضحى والليل إذا سجى إنهم لو شجعوا بعض التشجيع أو لم توضع فى سبيلهم العراقيل لأنتجوا للبشرية إنتاجا يحول مجرى حياتها من هذا البؤس الذى نسميه حضارة إلى حياة أخرى هى خير مقاما وأحسن نديا .

لو شجع هؤلاء بعض التشجيع لا بتكروا للانسانية وسائل تحول لها أحجار الجبال ذهبا . والمياه فى البحار لبنا مريا . وفى الأنهار عسلا مصفى، ولبات الناس فى رغد من العيش وعزة وسعادة فى الحياة. ولما شهدنا البشرية تتطاحن هذا التطاحن فتسيل الدماء أنهارا وتتكدس أشلاء الإنسانية عبر البحار والصحارى وملء القفار .

نحن أيها السادة لا نعدم فى هذا العصر رجال التفكير ، ولا العلماء المبتكرين النوابه ، ولكنا نعدم تشجيعا على الانتاج العلمى ، وعقلا يدفعنا الى هذا التشجيع ، وفكرا يحثنا على التضامن الاجتماعى الذى لا بد منه لخيرنا وخير مآلنا ويدفعنا الى هذا التشجيع، ولو أن القوم قد أخذوا العبرة من الماضى ، ومن سيرة من ذكرت من أبطال العلم ورجالاته، ومن إنتاج أولئك ، ومن مزايا التشجيع وثمراته ، وعرفوا أن هذا تضامن اجتماعى تعود بركاته وخيراته على المجتمع الانسانى، أقول لو عرفوا كل ذلك لبحثوا عن العلماء وشجعوهم تشجيعا يدفعهم الى الاستمرار فى الانتاج الفكرى ، ولرأينا اليوم نهضة مباركه ، والانسانية تنعم بأطيب حياة.

سادتى سيداتى : ليس تشجيع العلماء والمفكرين بعسير على شعب يريد النهوض ، وأمة تريد الاعتلاء والحياة الكريمة ، لأننا نستطيع أن نعرف مدى التضامن الاجتماعى وأثره وما يؤدى إليه من خيرات وبركات ، فإذا تحقق لنا هذا التضامن اندفع الناس تحت رايته الى البحث عن العلماء وتشجيعهم وتسهيل رسالتهم عليهم .

إن أمر التشجيع ميسور ، وفى متناول كل إنسان ، ولكن أين التوجيه الصحيح ؟ وأين التفكير فى هذا التوجيه ؟ وأين النفوس التى آمنت بالتضامن الاجتماعى ووجوبه وفضائله ؟

عندنا أيها السادة كثير من الأغنياء قد اختزنوا أموالهم فى المصارف والخزائن دون جدوى وآخرون يسرفون فى الإنفاق فيما لا يفيد أو قد يضر ، فما يضير هؤلاء وأولئك لو تضامنوا مع العلماء والمفكرين تضامنا يدفع هؤلاء الى العون بالمال وأولئك الى الانتاج حيث تيسرت لهم وسائل الانتاج بالمال .

أكاد أومن أو أومن أننا لو كونا رابطة من المفكرين والعلماء ، ومن المثرين ومحبى الاصلاح على غرار رابطة الاصلاح الاجتماعى التى يحمل لواءها رجل الاجتماع محمد العشماوى بك

واتجهت تلك الرابطة الى العمل العام لخير الشعب وصلاحه فقام الآخرون بتشجيع الأولين لا نلبث أن نرى بفجر السعادة وشيك البزوغ والآمال فى السعادة محققة الوقوع .

ماذا علينا لو كونا رابطة من ذلك الطراز . وسارت سفينتها تشق ظلماء الحياة فتبددها وترسل أضواءها فتنير السبيل أمام هذا الشعب المتهالك المسكين وذلك أمر جد ميسور لو خلصت النيات وتضافرت العزائم .

من هذا الطريق أيها السادة وصلت شعوب الغرب الى الفوق والرقى والحياة الكريمة ، ومن ذلك السبيل وصلت الدول الى عزها ورفعتها ، ومن طريق التشجيع فى ظلال التضامن الاجتماعى سادت شعوب كانت مستضعفة ، وارتقت ممالك كانت مهددة فمتى تتجه نحو هذا التشجيع ونسير تحت راية العلم وإرشاد العلماء .

إن اليوم الذى يتحقق فيه هـذا المعنى لهو يوم ميلاد جديد لهذا الشـعب يجب تخليده واعتباره أكبر عيد له فمتى تحقق الآمال ؟ ؟

من أشد عيوب الانسان خفاء عيوبه عليه ، فإن من خفى عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره ، فلن يقع عن عيبه الذى لا يعرفه ولن ينال من محاسن غيره .

ابن المقفع

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

المتنبى

عجبت من شيخ ومن زهدة يذكر النـار وأحـوالهـا
يكره أن يشرب فى فضة ويشرب الفضة نـاهيا

حكيم

قصة اجتماعية :

فى سبيل العيش

يصور لنا الكاتب فى هذه القصة المستقاة من قلب المجتمع صورة لرجل شريف النفس سدت أمامه أبواب الرزق الحلال وتوالت عليه المصائب والنكبات ، فاندفع مضطرا إلى طريق الشرور ، ولكن ضميره الحى ونفسه الأبية استيقظا أخيرا وبعد أن فقد كل شىء .

وسنرى عند ما نتتبع القصة مقدار العبء الثقيل الذى تحمله النفس الأبية أمام يقظة الضمير .

المحرر

أقبل الصباح فتطايرت أسراب الحمام والعصافير تحيى النهار تحية البكور وتهنئه بمولده ، وارتفعت الشمس قليلا قليلا وأرسلت من أشعتها خيوطا لينة دافئة حانية فوق الأطفال والصبيان الذين خرجوا من منازلهم مبكرين يمرحون وينفضون عن نفوسهم مخاوف الليل التى اضمحلت مع أحلامه السوداء ... فكانوا يترنمون بأغان ساذجة لطيفة تخرج من أفواههم الصغيرة كزقزقة العصافير وتغريد البلابل ، وكانت أغانيهم خير ما يمكون اهداءه إلى موكب الصبح الرائع .

كان اليوم عطلة ، فجلست فى شرفة منزلى استنشق نسيم الصباح ، وأرقب الشارع وهو يستقبل الوافدين ، ويودع الراحلين . وكان بى شغف إلى استعراض بعض صور الحياة التى تتوالى فى الطريق طبيعية بغير كلفة ولا تزويق .

ومن أول الشارع ظهر رجل طويل القامة أقرب للهيكل العظمى منه للانسان ، تلتمع عيناه ببريق غريب لا نراه إلا فى وجوه المجانين ، يرفع رأسه فى كبرياء وأنفة ، يسير فى الشارع فى خطى عسكرية منتظمة لا يشوبها الا رداؤه الوحيد الذى يستر بدنه ، والذى تعلن قذارته عن لابسه بما يلوح عليه من بقع وأوساخ... وكان يحمل فى يده صندوقا خشبيا ولفافة .

وظل ذلك المخلوق بل ذلك الهيكل العظمى يسير فى خطاه العسكرية . ظل يسير حتى حاذى منزلى فانتابته نوبة من السعال الحاد جعلته يفترش الأرض ويضع حمله الخفيف إلى جانبه .. ولما انتهت تلك النوبة هم ليقف فيستأنف السير ، ولكنه تردد وجلس ثانية جلسة مرتبة ، ثم تناول صندوقه باحترام واضعا إياه أمامه وأخذ يغطيه بورقة من احدى الجرائد القديمة ،

ويفض اللفافة ليخرج منها قطعا من الحلوى الصغيرة التى تباع للاطفال ، وكان يخرجها فى حذر خشية أن تتحطم بين أصابعه الخشنة الطويلة ، وظل يرتبها فى نظام راجيا أن تستلفت بتنسيقها أنظار المارة .

ظل مدة منهمكا فى عمله ووجهه آخذ سمة الجد شأن رجال الأعمال عندما يباشرون مشاريعهم الهامة . فلما فرغ الرجل من عمله نظر الى البضاعة نظرة أخيرة تنم عن الرضى وفرك كفيه بعد أن خالس نفسه النظر وصفق ثم جلس مستبشرا ...

حانت منه لفته الى الأطفال اللاعبين حوله وهم يضجون بالضحك البرىء ، فشاركهم ضحكهم فى تطفل و إغراء حتى يوجه نظرهم اليه ... ولكن عبثا . فقد ظل الأطفال عاكفين على لهوهم لا يحسون لهذا البائع وجودا ...

و بعد ساعة أو ما يقربها رمقه طفل ، فرآه البائع وكأنما استنجد بنظرته ، فابتسم له وأومأ إليه فأتاه الطفل مترددا ، وعندئذ انتقى له البائع قطعة كبيرة من الحلوى وظل يغريه بها حتى أخرج الطفل مليما واشتراها ...

وكأنما داعب الأمل صدر البائع فاعتدل فى جلسته وعاد اليه استبشاره وكأنما فتح السوق ولا ريب أن العملاء سيتوافدون على الأثر...

ظل الناس فى غدو ورواح ، لا يحفلون به ولا يهتمون لأمره كأنه قطعة مهملة من نفايات الحياة ...

و بعد لحظات مر به شاب منتفخ الأوداج تبدو على وجهه دلائل العظمة والكبرياء ، ولما اقترب منه وقف قليلا وأخرج من جيبه علبة سجائر فخمة لم يكن بها الا سيجار واحد أخرجه ، ووضعه بين شفتيه ، ثم رمى بالعلبة الفارغة فى أنفة دون أن يلتفت ، فلطمت وجه البائع المسكين واستقرت بجانبه .

أسرع البائع وأطبق بكلتا يديه على العلبة الفارغة وأخرج مليمه الوحيد ووضعه بداخلها كما يضع التاجر غلته فى خزانته .. وجلس مستبشرا ... وانتصف النهار ... وانصرف أصحاب المحال التجارية كل الى منزله لتناول طعام الغذاء والمسكين لم يزل فى جلسته المضنية ينتظر عساه يجد فى النصف الثانى من النهار ما يعوض مرارة انتظاره الأليم ولكن هيهات .. فقد ظلت الدقائق تمر تعقبها الساعات وهو ينظر فى استجداء الى وجوه المارة متلمسا نظرة ... نظرة واحدة تشعره بأنهم يعترفون بوجوده كتاجر بعد أن يئس من وجود مشتر ، ولكن عبثا ما حاول ...

رمق الحلوى التى أمامه بنظرة مكتئبة . . فيخيل إليه أنها ليست متساوية ولذلك يعرض الجمهور عن شرائها . . فعكف عليها ينسقها من جديد ويقضم ما يراه زائدا فى قطعها ويثنى و تكثر تلك الزوائد كى يملأ بها بعض فراغ بطنه المستجيرة . . ولكنه كبت رغبته أخيرا وتطلع إلى السوق مستبشرا . .

تولى النهار . . . وغابت الشمس تماما فغاب معها أمل الرجل . . . وتحطم ما بقى من قواه . . . ولم تلبث عيناه أن غامت بعروق كثيفة من الدماء القانيـــة ودارت فى محاجرها كوحش هائج يريد أن يفترس كل ما يقربه . . . ولكن أين الضحية ! إنها الحلوى ولاشك . . وبيد مرتعشة حانقة تناولها . ثم عركها بين يديه الكبيرتين وكاد أن يلقيها لولا أن تذكر معدته الفارغة ، فالتهمها فى جنون ثم ركل الصندوق بقدمه . . وتناول المليم من عليته . واشترى به سيجارة حقيرة وضعها فى فمه فى كبرياء كما فعل صاحب عالية السجائر من قبل . . ثم مضى فى الطريق حتى ابتلعه فى أطوائه .

وتنبهت الى نفسى أخيرا من فرط الألم . . فأسرعت الى الطريق معولا على ملاحقة ذاك المسكين ، وإعطائه ما تيسر . . ولكن القدر القاسى كان قد وقف له بالمرصاد ، فشلت كل محاولاتى فى البحث عنه . . وعدت إلى منزلى يائسا . . وهكذا انتهى اليوم . . . وانطوى قلبى على مأساة صغيرة من مآسى الحياة الكثيرة المتتابعة .

ومضى على هذا اليوم ما يقرب من شهور ثلاثة وكان الوقت صيفا شديد القيظ ، حبيس الأنفاس حينا . . . ملتهبا حينا آخر . . وعلى الرغم من حلول المساء . . . فقد أخذت وطأة الحر تزداد حتى عولت أخيرا على مغادرة المنزل والالتجاء الى إحدى محال المرطبات .

وفى الفيض الراكد من الضيق والحر والناس . . . سرت وحيدا . . اتلهى بمشاهدة كل ما يقع عليه نظرى ، ثم لا ألبث أن أبرم به . . لا أهدأ . . ولا أستقر .

وبينما أنا فى طريقى إذ وقع بصرى على بائع الحلوى جالسا فى مقدمة حانة ، نادرة الزبائن قليلة الحركة . لأن الكحول والحر خصمان لا يأتلفان ، ونقيضان لا يتفقان إلا فى الجسد القوى المحتمل ، وإلا فى الرأس الصلد العنيد . . فكان معظم من فيها جلوسا بالقرب من بابها على مقاعد رخيصة يتثاءبون ويروحون على وجوههم ، هاجعين أو كالهاجعين ، وبائع الحلوى يشاركهم تلك الجلسة وهو يقهقه فى صوت مدوٍ يلفت الأنظار .

كان يرتدى ثيابا نظيفة غالية لاتتفق فى شىء مع ذلك المنظر البائس المكتئب الذى كان يشمله حين وقعت عليه عينى للمرة الأولى . . واستجابة لحب الاستطلاع الذى ملك على عقلى وقتئذ ، عرجت على الحانة ودخلت .

رأيت المكان أشبه بقبر عتيق مهجور . على أنه كان رحيبا بعض الشيء ، متسعا لهذه الدنان التى تعج بأنواع الخمور ، ولبضعة موائد خشبية قـذرة قد جلس إلى إحداها فى ركن منعزل شابان زريا الهيئـة ، فهمت من أحدهما انهما من سائقى السيارات ، أحدهما طويل عمـلاق محتقن الوجه ، والآخر هزيل غائر العينين أصلع الرأس . وإلى المائدة التى تلى مائدتهما بواحدة . قبـع شيخ طويل القامة ، أبيض الشعر على محياه شيء من الوقار ، يدخن غليونه الذى يحشوه من آن لآخر تبغ قوى ردىء ، ويتململ بين الحين والحين غاضبا متقززا .

ومن السقف الخفيض يتـدلى مصباح من بترول كان يريق على هؤلاء الأشباح نورا أحمر مقسما ، وينشر بينهم رائحة شديدة خانقة كان الحر الأليم يردها أنفاسا من جهنم . .

وبالجملة كانت تلك الحانة كتلك البؤر التى يؤمها المجرمون .

جلست على أحد المقاعد القريبـة من الباب ، بينما الفتيان الجالسان فى الطرف الآخر ينظران إلى نظرة متفرسـة ثم انصرفا عنى ، ورشقنى الشيخ بطرف عينه ثم إستدار بغير اهتمام . . . أما بائع الحلوى ، ذلك الذى إجتذبنى إلى ذلك المكان القريب وهاج فضولى فقد أكرم وفادتى وصاح يحدثنى وهو يشير الى الشيخ و يضحك هاذرا . . مرحبا أيها الفتى تعال . . تعال . . أتدرى ماذا كنت أحدث به هذا الشيخ المأفون قبل أن تدخل . . . كنت أدعوه إلى مائدتى ليشاركنى شرابى المتواضع هـذا فلوى وجهه عنى واحتقرنى هـا هـا هـا . . واستطرد يخاطب الشيخ . . تعال تعال ياسيدى الأستاذ الوزين . . تعال ودع بعضا من وقارك هذا فليست الخمر للشيخ الوقور المتهجم .

ونظرت إلى الأستاذ فرأيته يشيح بوجهه فى زراية واحتقار و يستديره اكفا على شرابه . وقال بائع الحلوى يخاطبنى بعد أن سعل مرات متواليات و يبصق أمامه — إذن فأقبل أنت يابنى وأولنى شرف قبولك دعوتى .

فقلت له مجاملا متأدبا — كلا ياسيدى شكرا إنى طلبت شرابا مثلجا . فاقتنع بلهجتى المؤدبة ثم عاد يحدثنى وهو يفرغ فى فمه القدح إثر القدح . وقال .

— سمعت هـذا الخمار اللعين يسر فى أذنك شيئا . فماذا قال لك بالله ، ألنى مجنون أليس كذلك ها ها ها نعم ، نعم مجنون وانى لأفخر بجنونى هذا ، لاتجزع من الجنون يابنى انه شيء عذب وهادئ ، وانه شيء وديع ومسل جدا ، أتريد أن أقص عليك كيف جننت ، أو كيف قيل عنى إننى مجنون ... ، وعاجله السعال فصرع الكلمة فى فمه ...

وكنت أتأمله مبهورا وأنا أكاد أتمزق من الألم . فقال يفاجئني بعد أن تخلص من سعاله المخيف .

— انك تشفق على حين ترانى منكبا على الخمر برغم ذلك السعال الذى يمزق أحشائى . أليس كذلك . نعم ، لا أنكر ، وليس على فى هذا من بأس يابنى ، فالخمر تقتل كل خوف فى الانسان ، أنا فقير ، فقير حتى العدم ، أتريد أن أحدثك كيف أستطيع الحصول على ثمن الخمر ، وعلى هذه الملابس الغالية ؟ تريد أن تعرف ؟ إذن تعال واسمع قصتى . انها تكاد تقتلنى غير أنها مع هذا لذيذة ممتعة .

أنا من سلالة إحدى العائلات التركية القديمة . وقد توطنت هـذه المدينة منذ عشر سنوات أنا وزوجتى وأولادى ، أجيد اللغة التركية . بارع فى العزف على العود . وكانت زوجتى رحمها الله جميلة فتية فقضت منذ ثلاثة أعوام وتركتنى مع أولادى الستة .

ظلت أمتهن تعليم اللغة التركية والعزف على العود مدة كبيرة ، ولكننى لم ألبث أن أصبحت بغير عمل ، فقد هرب التلاميذ لعدم حاجتهم الى هذه اللغة ، وولى الآخرون بعد أن امتنعوا عن دفع الأجر الذى يدفعون به الى .

واستبدت به نوبة من ضحك هادر مرعب وسعال شديد فمال فأسند رأسه على ذراعيه الممدودتين على المنضدة ولبث يسعل حتى خيل إلى أن أحشاءه ستثب من فمه . ثم استتل وهو ينظر إلى مبتسما .

لقد بعت ساعتى ... ساعتى القديمة ، لأشترى بها خبزا لأولادى . وانتظرت . ولكن بدون جدوى فقد تحالف القدر على تحطيمى . الأولاد جياع . واليد فارغة ، أتدرى ماذا صنعت بعد ذلك . لقد بعت أسنانى ، أسنانى الذهبية . بعتها جميعا واشـتريت بها خبزا وإداما ، وآخر سن منها اشتريت بثمنها حلوى لأتجر فيها . وكان هذا سهمى الأخير فى حياة الشرف .

ولا أطيل عليك القول يابنى فقد وجدت نفسى منساقا بالرغم منى إلى طريق الإجرام مضحيا بشرفى فى سبيل الاحتفاظ بما بقى منه لأولادى الصغار .

* * *

ولم أطق الجلوس بعد ذلك فى هذا المكان بعد أن تحالفت حرارة الجو وحرارة الألم على فهممت بالهرب منه . . . ولكنه قال يستبقينى فى ضراعة تمزق القلب : انتظر لا تذهب ، انتظر بربك فقصتى لم تتنه بعد . . .

ولكننى امتنعت عن البقاء بأذنى قوائى فقام مترنحا وخرج معى الى صاحب الحانة . . . ومددت يدى أدفع الحساب . . . فلم يترك لى سبيلا إلى ما أريد . . . وظل يصيح . . .

دعنى أدفع . . . هاك . . . هاك نقودا كثيرة . . . نقود الكرامة المقتولة . . . والقلب المطعون وقذف الى الرجل بكل ما معه . وسحبنى من يدى وخرج .

وفى الشارع كان يميل و يترنح و يسير على غير هدى فسألته عن سكنه وفى عزمى أن أنتهى به إليه ولكنه لم يجب وسقط يخور و يصيح و يترنح . . . ثم أمكننى أن أفهم من خلال هديره هذه الكلمات . . .

منزلى . . . منزلى . . . لم يبق لى منزل . . . ولم يبق لى أولاد . . . فقد فر الجميع أمس والى حيث لا أعرف لم مكانا . . . وامتلأت عيناه دموعا ثم قال .

قد تشير على بالانتحار . . . إيه . . . لا . . . إنه بشع مروع . . . الانتحار ! وعلام أقهر ؟ . . . ها ها ها ها . . .

وكنت فى منتصف الطريق . . . والترام مقبل سريع من بعيد . . . فاستطرت هلعا وصحت به الترام الترام تعالى بنا الى الرصيف . . .

فانقاد الى على عاد ، ولما حاذتنا العجلة الرهيبة العدو . . . رأيته يضحك فى خبال وحشى و ينظر اليها بعينين هائلتين متقدتين و ينزع نفسه من قبضتى بقوة مجنونة ثم يثب اليها وهو يصيح . . .

أولادى . . . شرف . . . وصر الترام بصرخة خاطفة مروعة . . . فإذا هو هشيم من لحم ممزق ودم متفجر .

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢١ من ذى القعدة سنة ١٣٦١
الموافق ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٢ م

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى

نمرة ٢٣٩٥-١٩٤٢-٢٥٠٠